

## دراسة نقدية وتحليلية

### لمصادر الحكم المصري في الشام

مقدمة:

ارتبطت مصر منذ القدم ببلاد الشام<sup>(١)</sup> ارتباطاً أملتته الظروف الطبيعية، وتباينت مسبباته من مرحلة إلى أخرى، وتعد فترة الحكم المصري في الشام [١٨٣١-١٨٤١] أبرز هذه المراحل. وقد اختلفت الآراء حول تجربة محمد عليّ، فمنهم من اعتبرها مشروعاً نهضوياً أعاد لمصر دورها الرياديّ في المنطقة، ومنهم من رآها مشروعاً توسعياً استنزف ثروات البلاد لتحقيق مآرب شخصية. ولكن لا يختلف اثنان على أن عصر محمد عليّ كان من أزهى عصور مصر من حيث تسجيل الأحداث ووزارة المادة الأرشيفية، لذا تركزت المصادر الأصلية للحكم المصري في الشام بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

ومع غزارة المادة العلمية فإنها متداخلة متشابكة بشكل مزعج، جاء هذا التشابك بسبب تداخل السلطات الإدارية بين الدواوين ومجالس الشورى، وطغيان الإدارة المركزية على الإدارات الفرعية، ناهيك عمّا يقابل الباحث من صعوبات في التعامل مع أنواع الخطوط التي كتبت بها هذه الوثائق، ولعل أكثرها تعقيداً خط القيرمة<sup>(٢)</sup>

وهناك معاناة أخرى داخل دار الوثائق؛ فلا ينكر أحد ما شهدته هذه الدار في الآونة الأخيرة من حيث نظافة المبنى واتساعه وتكييف قاعات الاطلاع، والعمل لمدة إحدى عشرة ساعة يومياً، عدا يوم الخميس ست ساعات، بما يتيح للباحثين فرصة جيدة، ولكن مازالت دار الوثائق تعاني من فهرسة عقيمة، لا تسمح للباحث بالوصول إلى هدفه مباشرة، فالباحث يعتمد على ما يوجد به الإداريون سواء في قاعة الاطلاع أو المخازن. ناهيك عمّا يعترض الباحث من عقبات تحول دون إطلاعه على أرشيف أو أكثر، بشكل مؤقت أو دائم، لأسباب تتعلق بالأمن أو إعادة الفهرسة أو التعقيم أو التجليد أو غيرها.

وفيما يلي مصادر الحكم المصري في الشام، ويقوم منهج الدراسة على التعريف بكل مصدر على حدة، ودوره في توفير المادة التاريخية، ثم نقد المصدر من حيث الشكل والمضمون، وأعني بالشكل الفهرسة والترتيب وطريقة العرض.

## أولاً: الوثائق غير المنشورة

المحفوطة بدار الوثائق القومية بالقاهرة

### أ- العربية

#### ١- محافظ الأبحاث ( الشام )

وتعتبر المصدر الرئيس لفترة الحكم المصري في الشام، وتقع ضمن مجموعة محافظ الأبحاث الخاصة بالحجاز والسودان وكريت وموضوعات مثل التعليم والتجارة وغيرها، وهي وثائق مجموعة ومترجمة<sup>(٣)</sup> ومنسوخة من الوثائق الأصلية الموجودة في وثائق عابدين التي تضم سجلات ومحافظ [الشام والحجاز]<sup>(٤)</sup> ومحافظ أبحاث الشام عشرون محفظة مرتبة ترتيباً زمنياً؛ تبدأ بمحفظة ٦٥ أبحاث [١ الشام] وتغطي فترة محرم - شعبان ١٢٤٧هـ/ يونيو ١٨٣٠ - يناير ١٨٣١م، وتنتهي بمحفظة ٨٤ أبحاث [٢٠ الشام] وتغطي الفترة حتى نهاية ١٢٥٦هـ/ فبراير ١٨٤١، إضافة إلى سبع محافظ أخرى تراجم من ٨٥-٩١ أبحاث [الشام تراجم] سيأتي تفصيل لها بعد الحديث عن المحافظ العشرين الأولى، أما المحفظة ٩٢ أبحاث [الشام] فتضمنت فهرس للمادة التاريخية الموجودة في محافظ أبحاث [الشام] حتى نهاية عام ١٢٤٩هـ/ مايو ١٨٣٤م. ويبدو أنه مشروع لم يكتمل، وهي تقدم للباحث خدمة، وأرى أن البحث المباشر في الوثائق بدون فهرس أفضل. ويستبعد أن يكون عمل الفهارس بهدف إحصاء الوثائق لضمان عدم ضياعها، فالأولى أن تكون الفهرسة بهذا الهدف للوثائق الأصلية.

وتقدم محافظ أبحاث الشام مادة غزيرة عن النشاط الإداري والعسكري والاقتصادي والديني وأحوال الفناصل ونشاطهم؛ أما بالنسبة للنشاط الإداري فتحتوي

المحافظ على مادة غنية عن الإدارة المصرية في الشام، إذ ضمت المراسلات المتبادلة بين الإدارة المركزية في الشام [مدنية وعسكرية] والمتسلمين من حكام المقاطعات والأقاليم، والخدمات التي تقدمها الإدارة للجيش ودورها في تحصيل الرسوم والعوائد، وكان كل ذلك يدون يومياً في تقارير دورية تسمى جرنال وقائع المصلحة، تصدر هذه التقارير من ديوان قائم مقام الشام في هيئات ثلاث؛ تقرير عربي عن المكاتبات الصادرة والواردة، وتقرير عربي وآخر تركي عن الشؤون المالية والإدارية اليومية<sup>(٥)</sup>

أما بالنسبة للنشاط العسكري فكانت التقارير اليومية للحوادث العسكرية تصدر عن المعسكر العام بالشام بقيادة إبراهيم باشا، فترسل مغلقة ومختومة بالشمع الأحمر إلى ديوان الخديوي فيوزعها على الدواوين والمجالس المختصة ويرفع ملخصاً بها إلى محمد علي باشا. إذ كان للجيش كاتب تقارير، حيث تقدم كل فرقة تقريراً دورياً عن نشاطها وأحوالها، وعلى كاتب الجيش أن يصوغ التقرير النهائي، وتقدم التقارير العسكرية مادة ثرية عن النشاط العسكري للجيش المصري في بلاد الشام، مثل تفاصيل المعارك وعدد القوات وأحوالها وتمويل الجيش، وحجم الانتصارات التي حققها وخسائر الأرواح والجرحى. فعلى سبيل المثال ألحق محمد منيب بتقريره عن حوادث الجيش في ١٩ رمضان ١٢٤٧هـ يومية كل الأي على حدة، فإذا أخذنا منها نموذجاً (يومية الألاي الخامس عشر مشاه) وجدناه تضمن عدد أفراد الألاي (٢١٣١) ومهمة كل مجموعة. والألاي مقسم إلى قيادة عامة وأربعة أوط. ثم بياناً بعدد المرضى والمتوفين والفارين<sup>(٦)</sup> وننبين من الوثيقة أن القيادة العامة للألاي تتمثل في ميرالاي وينوب عنه قائمقام، ويضم الألاي طاقماً طبياً وواعظاً وأئمة ومؤذنين وفرقة موسيقية، وهو ما يعرف في الجيوش المعاصرة بالتوجيه المعنوي. ويضم الألاي من [٣-٤] أوطية يرأس كل منها بكباشي يعاونه صاغ.

وعن النشاط الاقتصادي المصري في بلاد الشام فتغص المحافظ بمادة وثائقية

غزيرة عن دور الحكومة المصرية في منع الظلم وحفر الترع والقنوات واستصلاح الأراضي، وإعادة تعمير القرى التي تَسَحَّب منها أهلها، وإدخال زراعات جديدة، وتشجيع الصناعات المحلية وتطويرها، مع إدخال صناعات جديدة. وتلقي المادة الموجودة بالمحافظ الضوء على الضرائب والرسوم التي فرضت في ظل الحكم المصري وكشوف الميزانية؛ فعلى سبيل المثال حوت ميزانية عام ١٢٥٢هـ كشفاً بالإيراد وآخر بالمصروفات. قدم كشف الإيراد جدولاً بالمبالغ الواردة من أبوابها مال ميري وإعانة وجزية وخلافه في كل إيالة على حدة بالقرش والبارة، ثم إجمالي كل باب، وهو ما يعادل في النهاية ٢٢٤,٤١٠ كيسة. وتضمن كشف المصروفات ثلاثة جداول بأبواب المصروفات في كل إيالة ومصلحة على حدة، ثم إجمالي كل باب، بإجمالي قدره ١٦٠,٧٦٧ كيسة.<sup>(٧)</sup> كما توجد مادة عن النشاط التعدينى لمحمد علي في بلاد الشام<sup>(٨)</sup> وحوت التقارير مادة تاريخية عن استغلال محمد علي للأخشاب التي كان في حاجة إليها سواء لتحديث قطع الأسطولين [الحربي والتجاري] أو زيادة قطعهما، ولاسيما بعد تحطم الأسطول الحربي في نفارين<sup>(٩)</sup>

وفي الجانب الدينى توضح الأوامر الصادرة من محمد علي باشا إلى رجال الإدارة في الشام مراعاة العدل بين الرعية، ورفع الرسوم والعوائد الإضافية التي كانت مفروضة على أهل الذمة، من النصارى والروم والأرمن والإفرنج واليهود، وتسهيل مهمتهم في بناء دور العبادة الخاصة بهم وترميمها، في أنحاء بلاد الشام فيما عدا مدينة القدس، وتشير إحدى الوثائق إلى معارضة علماء الدين والقضاة في القدس لهذا القرار فرفعوا التماسهم إلى محمد علي باشا "بإبقاء القديم على قدمه لأنها إيرادات يتوارثها"<sup>(١٠)</sup> أباً عن جد منذ الفتح العمري والصلاحى والعهد العثمانى بموجب سندات شرعية وفتاوى مرعية"<sup>(١١)</sup> ولعل هذه المساواة جرأت اليهود على رفع شكاوهم إلى محمد علي باشا مما يروونه مظالم لحقت بهم، فعلى سبيل المثال رفعت طائفة من اليهود شكاوها ضد متسلم صفد بدعوى أنه يسخرهم في الأعمال الحكومية؛ فجاء رد محمد علي بأن هذا مخالف لأصول الأحكام المصرية<sup>(١٢)</sup>

أما عن الأحوال القنصلية فنجد في محافظ الأبحاث مادة غزيرة عن نشاط قناصل الدول الأوروبية في استغلالهم للامتيازات التي حصلوا عليها من الدولة العثمانية ومن محمد علي، حيث تسابق الطرفان في إرضاء الدول الأوروبية. ففتحوا الخمارات بدون إذن من الحكومة<sup>(١٣)</sup> ورفضوا دفع رسوم على وارداتهم بحجة أنها للاستعمال الشخصي، وأطلقوا العنان لأتباعهم والمحتمين بهم لمضايقة الإدارة المصرية والاعتداء على الأهالي، حتى غدوا شوكة في حلق الإدارة المصرية، الأمر الذي حدا بإبراهيم باشا أن يقول "إن هؤلاء القوم [القناصل] مصدر ألمي، إنهم يعرقلون كل خطوة تخطوها الحكومة، إن السلطان والطاعون لا يعدو شيئاً بالنسبة لحضرات القناصل ... إنهم يزعجونني ولا أستطيع الدفاع عن نفسي أمامهم"<sup>(١٤)</sup>

وعملية الترجمة المتوفرة في محافظ الأبحاث تتيح للباحث الفرصة للاستفادة السهلة مع الحفاظ على الأصول من العبث والسرقة والضياع. ومن المحاسن في هذه المحافظ أن المترجم أو الناسخ يذكر في كل وثيقة أصلها ومكانها في محافظ عابدين، بما يسهل على الباحث الوصول إليها للتحقق أو التصوير. ويلاحظ أن المادة الوثائقية خلال السنتين الأوليين كانت غزيرة جداً فشكلت تسع محافظ، في حين شكلت المادة في الأعوام التالية محفظة واحدة تقريباً عن كل عام من بدايته إلى نهايته. وقد ترجع غزارة المادة الوثائقية في السنتين الأوليين إلى تكوين أرضية معلوماتية عن المنطقة.

ومن الملاحظ أن تقارير الإدارة المصرية في محافظ الأبحاث لم تركز على الأحداث الثورية في بلاد الشام ومسبباتها، وأعني بالمسببات الأخطاء التي وقعت فيها الإدارة المصرية من الاحتكار والتجنيد الإجباري ونزع سلاح الأهالي، وإنما أشارت إليها إشارات عابرة، ولم تفرد لها صفحات؛ ربما لأن الإدارة نظرت إلى هذه الثورات على أنها نقطة ضعف لها في تلك الديار، لكن الواقع أن أهل هذه البلاد اعتادوا الفوضى وعدم النظام لذا تضجروا من وجود حكومة نظامية، حسبما ذهب أحد الباحثين من أهل الشام نفسها<sup>(١٥)</sup> ومن المشكلات التي تقابل الباحث في محافظ

الأبحاث أن الملفات بدون أرقام، واكتفى المصنفون بذكر الفترة التاريخية على الملف، فيضطر كثير من الباحثين إلى إغفال الملف عند التوثيق. وقد اعتمدت الدراسات التي قدمت عن الحكم المصري في الشام على محافظ الأبحاث بشكل أساسي<sup>(١٦)</sup>

أما **محافظ أبحاث الشام تراجم** والتي تضم من محفظة ٨٥-٩١ أبحاث [٢١-٢٧ الشام] فهي تضم وثائق مترجمة عن الأصول التركية الموجودة في وثائق عابدين وديوان الخديوي، وبمقارنة بعض هذه الوثائق بتلك الواردة في محافظ أبحاث الشام وجدناها وثائق مختارة صورة طبق الأصل منها. ويبدو أنها كانت نواة مشروع لإعادة تصنيف المادة الوثائقية الخاصة بالشام على أساس موضوعي، حيث ظهرت نواة هذا المشروع في محفظة ٩٠ أبحاث [٢٠ الشام] التي ضمت ملفين عن مكاتبات إبراهيم باشا إلى والده محمد علي باشا، مترجمة عن دفاتر ديوان الخديوي، والملاحظ أن هناك نسخة من هذين الملفين باللغة الفرنسية في محفظة ٩٣ أبحاث. وأيضاً بالمحفظة ٩٠ أبحاث [٢٦ الشام] ملف عن اليهود في بلاد الشام.

ويقدم ملف مراسلات إبراهيم باشا المشار إليه مادة غزيرة عن دور إبراهيم باشا السياسي والعسكري والإداري والاقتصادي، وعلاقته بأبيه ورؤية كلٍ منهما في إدارة الشام والعلاقة بالسلطان والدول الأوروبية؛ فعلى سبيل المثال نلمس من الوثائق جرأة إبراهيم باشا على التقدم في آسيا الصغرى، ورغبته في إعلان الانفصال عن الدولة العثمانية وفي المقابل حذر والده الشديد؛ فبأمره بالتوقف بعد أدنه وأن يتلمس مواقف الدول الأوروبية وألاً يخلع ربة السلطنة.<sup>(١٧)</sup> أما ملف اليهود بالمحفظة ذاتها ففيه معلومات وافية عن أماكن تمركز اليهود وأنشطتهم والمخالفات التي يرتكبونها، ولعل أبرز وثائق هذا الملف تلك التي تشير إلى التحقيق في مقتل أحد الإرسالية الإيطالية<sup>(١٨)</sup> ويدعى البادري توما على يد حاخام يهودي، واستخدام دمه في عمل فطير للمنتدبين اليهود في عيد الفطير الخاص بهم<sup>(١٩)</sup> ومن مشكلات محافظ التراجم أن الترجمات لم يُذكر عليها المصدر الأصلي للوثيقة، بما يصعب على الباحث

الوصول إلى أصول هذه الترجمات.

## ٢- وثائق ديوان المعية السنية

وهي وحدة أرشيفية تتبع أمانة الوثائق السيادية، وبه ثلاثة أنواع من الوثائق: الأول: محافظ المعية السنية، ووثائقها خارج فترة الحكم المصري في الشام، باستثناء محافظ ٢١ عرضحالات ووثائق. والثاني: سجلات معية سنية عربي، ووثائقها خارج فترة الحكم المصري أيضاً. الثالث: سجلات معية سنية تركي صادر ووارد، وهي التي تخدم الدراسة، ولاسيما الدفاتر من [٤٠-٨٨] وهي تغطي فترة الحكم المصري في الشام. أما الدفاتر من [١-٤٠] ففيها بعض الوثائق التي تمهد للحكم المصري في الشام. وهذه السجلات مرتبة ترتيباً زمنياً. ووثائق هذه الدفاتر معظمها باللغة التركية، غير أنها شملت عملية الترجمة في الثلاثينيات من القرن العشرين، فتكونت منها محافظ معية سنية تركي " تراجم ملخصات الدفاتر " وعددها ١٢٠ محفظة، منها ٥٦ محفظة تخص الحكم المصري في الشام وتشمل المحافظ ٤٣-٩٩ وهي تغطي الفترة من ( شعبان ١٢٤٧ - صفر ١٢٥٦هـ / ١٨٣١-١٨٤٠م) والمادة الوثائقية موجودة داخل المحافظ في ملفات، كل ملف مدون عليه عدد الوثائق والفترة الزمنية ورقم الدفتر المأخوذ عنه، ومع كل وثيقة أيضاً رقم الدفتر والوثيقة وتاريخها.

ويقدم هذا النوع من الوثائق مادة تاريخية حول تطور علاقة محمد علي بأمرأ الشام ومنهم الأمير بشير وتوثيق علاقته به قبل الحكم المصري بداية من الزيارة التي قام بها الأمير بشير لمصر ١٢٣٧هـ / ١٨٢٠م وصدور الأمر بإكرامه وأن يعد له كتحدا بك منزلاً خاصاً على شرط أن ينكر شخصيته<sup>(٢٠)</sup> إلى أن أرغمه محمد علي باشا على التعاون معه وهدده باستخدام القوة إذا لم يمتثل<sup>(٢١)</sup> ثم أصبح عبد الله باشا من أخلص حكام المنطقة لمحمد علي، فلزم الأمر توجيه الشكر إليه<sup>(٢٢)</sup> أما أبناء حروب الشام ومعالجة آثار الحرب، وتوفير مستلزمات الجيش فتتأثر مادتها

في السجلات من [٤٠ - ٥٢] فعلى سبيل المثال حرص محمد علي أن يوفر الصوف اللازم لكسوة الجنود في الشام، لبرودتها الشديدة من جميع أنحاء مصر<sup>(٢٣)</sup> وبعد نجاح القوات المصرية في فتح عكا أمر محمد علي بإصلاح مبانيها وحدائقها، فأرسل إليها المختصين مع التقاوي والشاتلات اللازمة من حدائق إبراهيم باشا بشبرا<sup>(٢٤)</sup>

أما محفظة او ٢ معية سنوية عرضحالات ووثائق فهي تغطي الفترة من (١٢٢٨- ١٢٨٣هـ) وتتضمن عرضحالات والتماسات مقدمة إلى ديوان الخديوي لرفعها إلى الجنب العالي، ومعظمها باللغة التركية، ومرفق بكل وثيقة ملخص باللغة العربية،<sup>(٢٥)</sup> والقليل منها يخص بلاد الشام، ومنها على سبيل المثال طلب بصرف نفقات سفر أحد قواصة الجيش إلى ديار بكر<sup>(٢٦)</sup>

والمادة التاريخية في ووثائق المعية السنوية كثيفة للغاية، فكل محفظة بها أكثر من ٥٠٠ وثيقة تعالج موضوعات شتى داخل مصر والأقاليم التابعة لها، القليل منها خاص بالشام، الأمر الذي يستنزف وقتاً طويلاً من الباحث، لكن توفر ملخصات المادة باللغة العربية يساعد الباحث كثيراً على سرعة البحث. ونود أن نشير إلى أن كل الباحثين السابقين اعتمدوا على محافظ ملخصات الدفاتر، وذكروا أنها محافظ معية سنوية، إما للتخفيف وإما لاعتقادهم أن إضافة "ملخصات الدفاتر تقلل من أهمية المصدر. كما أن الملخصات الصغيرة المرفقة بوثائق العرضحالات تساعد الباحث على تحديد الوثائق التي تخدمه لاختيارها وترجمتها.

### ٣- سجلات عابدين ( تركي )

وسجلات عابدين مجموعة أرشيفية تتبع أمانة السيادة، ومنها سجلات عربي وتركي وأجنبي، ولا يخدم الدراسة منها سوى التركي، أما النوعان الآخريان فيخصان النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد تم عمل ملخصات لدفاتر عابدين تركي مع نسخ ملخص للوثائق العربية الواردة بها في الثلاثينيات من القرن العشرين. وشكلت

الملخصات مادة ضخمة تم جمعها في خمسين محفظة، تغطي الفترة من ( ١٢٤٢- ١٢٥٧هـ/ ١٨٢٦-١٨٤١م) وكثير منها يخص الحكم المصري في الشام ومقدماته.

وتقدم سجلات عابدين مادة ثرية تخدم في شتى النواحي، ففي الجانب الديني علي سبيل المثال نجد كثيراً من الشكاوي لأهل الذمة في بلاد الشام ولا سيما في القدس ونلمح استجابة محمد علي لهم وترضيتهم، ومثال ذلك أمر من محمد علي باشا إلى قاضي القدس بالموافقة على ترميم كنائس الأرمن وبناء دير لراهباتهم، مع عدم تعرض عمار باشي القدس للعمال والفعلة الذين يقومون بهذه الأعمال<sup>(٢٧)</sup>

كما تتضمن مادة عن علاقة محمد علي باشا برجال الإدارة في الأستانة، من ذلك رسالة من محمد علي إلى السر عسكر خليل باشا بالأستانة، والتي يظهر منها عدم قبول محمد علي لعرض خسرو باشا بإقراره في ولاية مصر وراثته، ومطالبة محمد علي بكل البلاد الواقعة تحت يده، ويطلب من المرسل إليه أن يتوسط لدى خسرو باشا ليحمله على تغيير خطته المتشددة أو الاستقالة من الصدارة العظمى حقناً لدماء المسلمين<sup>(٢٨)</sup>

وتقدم سجلات عابدين مادة غزيرة لعلاقة محمد علي بابنه إبراهيم من خلال المراسلات المتبادلة، والتي تبين مدى ثقته في عقلية ابنه العسكرية والإدارية، فكان يستشيريه في كل ما تتعرض له الدولة من مشكلات وأزمات، فعلى سبيل المثال أخذ برأيه في مسألة تجنيد مسيحي جبل الدروز، اقتداءً بالدولة العثمانية التي كونت فرقة [بلطجية] من الأرمن فأقره محمد علي بقوله "إن حالتنا الحاضرة تسمح لنا بذلك فاقترحك في محله، فاشرع على الفور مستعيناً بالله في اختيار رجال من الدروز أنشئ الأورط كما لاح لفكركم الصائب ورأيكم الثاقب"<sup>(٢٩)</sup>

وحوت سجلات عابدين شؤون قنصلية من اعتماد تعيينهم إلى تحديد صلاحيات العمل والحماية؛ فأرسل إلى ابنه إبراهيم يخبره بقبول التماس وزير النمسا باعتماد تعيين دي بيشوتي قنصلاً في حلب، على أن يكون له حق النظر في شؤون طائفة اليهود في

بر الشام [دمشق] والقدس وطبرية وصفد<sup>(٣٠)</sup> وعندما تضجر إبراهيم باشا من تعديات القناصل نبه محمد علي على الإدارة في الشام سراً بالتعامل مع مطالب القناصل بكل حزم ليضطروا إلى مراجعته شخصياً فيتسنى له إبداء استيائه لرؤسائهم في مصر<sup>(٣١)</sup> ، ولا شك أن الملخصات تقدم مادة سهلة للباحثين وتحافظ على أصل السجلات، كما أن المترجم يذكر في كل ملخص أصل الوثيقة برقمها ورقم السجل، بما يسهل على الباحث الوصول إلى الأصل. ومن مشكلات محافظ الملخصات أنها غير مرتبة زمنياً ، ولعل ذلك يرجع إلى أن كل محفظة تختص بمادة سجل أو اثنين، وهذه السجلات متنوعة في طبيعة تصنيفها بين صادر ووارد تحريرات ومراسيم وشكاوى وإفادات وتوجيهات. وهذه المحافظ ليست لها فهرس بدار الوثائق ، لذا يجب على الباحث أن يطلع على المحافظ كلها ويعد فهرس خاصة بموضوعه، حتى يتسنى له الاستفادة الكاملة من هذا المصدر.

#### ٤ - سجلات ديوان خديوي [تركي]

وهي ضمن وثائق الديوان الخديوي الذي كان بمثابة سكرتارية لمحمد علي باشا، ومهمته الربط بين السلطة المركزية والأقاليم التابعة لمصر ومنها بلاد الشام، فيقوم بفض المراسلات الواردة وتوزيعها على جهات الاختصاص من مجالس ودواوين للبت فيها، وإبلاغ الباشا بمضمون المراسلات التي تهمة، ثم نسخ الصادر من محمد علي باشا والمجلس العالي إلى الجهات المختلفة من مجالس ودواوين ومديرين. لذا فوثائق هذا الديوان لا غنى عنها عند دراسة الحكم المصري في الشام. وهي مجموعة أرشيفية تتبع أمانة السيادة. وبها محافظ وسجلات عربي وتركي لا يخدم الدراسة منها سوى السجلات (تركي) وهي متضمنة بعض الوثائق العربية.

والسجلات المذكورة تضم عدداً كبيراً جداً بين وارد تحريرات وصادر أوامر كريمة، ولها أيضاً محافظ ملخصات دفاتر مترجمة إلى اللغة العربية، وعددها ثلاث

وستون محفظة يدخل منها في نطاق الدراسة إحدى عشرة محفظة، غير مرتبة زمنياً  
وبيانها كالتالي :

المحفظة	رقم الدفتر	الفترة التاريخية	
		من	إلى
٣٦	٧٥٠ و٧٥١	ربيع أول ١٢٤٤ / يوليو ١٨٢٨	صفر ١٢٤٩ / يونيو ١٨٣٣
٤٧	٧٦٩	محرم ١٢٤٦ / يونيو ١٨٣٠	شوال ١٢٥٠ / فبراير ١٨٣٥
٥٠	٧٧٧ و٧٧٨	ربيع أول ١٢٤٠ / يونيو ١٨٢٤	شوال ١٢٥٠ / فبراير ١٨٣٥
٥٦	٧٨٩ صورة ٢ و١	ربيع ثان ١٢٤٨ / أغسطس ١٨٣٢	محرم ١٢٤٩ / مايو ١٨٣٣
٥٧	٧٩٠ صورة ٢ و١	صفر ١٢٤٨ / يوليو ١٨٣٢	شوال ١٢٤٩ / فبراير ١٨٣٤
٥٨	٧٩١ صورة ٢ و١	صفر ١٢٤٨ / يوليو ١٨٣٢	صفر ١٢٤٩ / يونيو ١٨٣٣
٥٩	٧٩٢ صورة ٢ و١	رجب ١٢٤٨ / نوفمبر ١٨٣٢	جماد ثان ١٢٤٩ / أكتوبر ١٨٣٣
٦٠	٧٩٣ و٧٩٤	صفر ١٢٤٩ / يونيو ١٨٣٣	رجب ١٢٤٩ / نوفمبر ١٨٣٣
٦١	٧٩٥ و٧٩٦	محرم ١٢٤٩ / مايو ١٨٣٣	رجب ١٢٥٠ / نوفمبر ١٨٣٤
٦٢	٧٩٧ و٧٩٨	محرم ١٢٤٩ / مايو ١٨٣٣	ذو القعدة ١٢٥١ / فبراير ١٨٣٦
٦٣	دفاتر متفرقة	جماد أول ١٢٤٥ / أكتوبر ١٨٢٩	صفر ١٢٥٦ / أبريل ١٨٤٠

وتقدم سجلات الديوان الخديوي مادة من المراسلات المتبادلة بين إبراهيم باشا والإدارة المركزية في مصر، وبخاصة ما يتعلق منها بمتطلبات الجيش، مثل الإمدادات العسكرية والمؤن وخرائط المناطق الجديدة والخبراء والمترجمين. ومن هذه المادة يتضح أن الأمور المتعلقة بالجيش كانت تُحال إلى مجلس شورى الجهادية ليتصرف فيها، فعلى سبيل المثال: عندما طلب أمير الألاي الحادي عشر مشاه بأدنه إرسال عدد ٢٦ فرشة نوم للجنود الجدد، عهد مجلس شورى الجهادية إلى ناظر الجهادية صرف المطلوب لأغا خصمه ديوان الخديوي لتوصيل المطلوب<sup>(٣٢)</sup> وعندما أحال ديوان

الخدوي إلى مجلس شورى الجهادية احتياجات مدرسة الجهادية المنشأة حديثاً في بلاد الشام اتخذ المجلس قراراً بإعداد المطلوب للمدرسة<sup>(٣٣)</sup>

كما توجد بهذه السجلات مادة اقتصادية قليلة خاصة بتوجيهات محمد علي وابنه إبراهيم، منها على سبيل المثال توجيهات إبراهيم باشا بزراعة القطن الهندي في نواحي انطاكية وطرسوس وعكا، فطلب حسين عبد الهادي أفندي مدير إيالة صيدا من مصر ٤٣٠ أقة من أجود أنواع بذرة القطن، مع بيانات وافية عن طريقة الزراعة ومراحل العناية به<sup>(٣٤)</sup>

ومن مشكلات محافظ ملخصات دفاتر ديوان خديوي أنها غير مرتبة زمنياً، ويرجع عدم الترتيب إلى اختلاف طبيعة السجلات كما ذكرنا في المصدر السابق. ولكن بمساعدة الفهارس يمكن تحديد المحافظ التي تخدم الدراسة ومحتوياتها وفتراتها الزمنية، وعلى الباحث أن يسجل لنفسه فهارس مشابهة للفهرس المدون أعلاه. ومن مشكلات هذا المصدر غزارة المادة العلمية وتفرعها، فاستخلاص المادة الخاصة بالشام يحتاج إلى وقت، غير أن توفر الملخصات العربية يخفف من وطأة المشكلة.

## ٥- سجلات الروزنامة

وتُصنّف وثائق الروزنامة<sup>(٣٥)</sup> ضمن الوحدة الأرشيفية ديوان المالية التابع لأمانة الإنتاج. وقد عثرنا قدرًا على سجلين فقط من هذه الوثائق، مصنفين ضمن مجموعة متفرقات الأول: دفتر التزامات در إيالات شام شريف وصيدا وطلب الشهبأ وأدنه واجب سنة ١٢٤٨هـ و ١٢٤٩هـ والثاني: دفتر بيان إيرادات المقاطعات والالتزامات نواحي مصر وولايات الشام وغيرها المرتبة إلى الخزينة العامرة سنة ١٢٤٩هـ<sup>(٣٦)</sup> وهذان السجلان لم يستخدمهما أي من الباحثين من قبل، وتبين مادة السجل الأول أن محمد علي كان يعهد بأموال الميري المطلوبة من كل قرية أو مقاطعة إلى متعهد يلتزم بمبلغ معين عليه جمعه وتوريده سنوياً، والسجل يوضح القرى التابعة للمقاطعات المذكورة، فعلى سبيل المثال قرية جورا التابعة للشام (دمشق) كان عليها ١٠٥٠ قرش سنة ١٢٤٨هـ ومثلها في العام التالي تم

تسليم المبلغ للخرينة حيث كُتب باللون الأحمر، فيما كُتب باقي السجل باللون الأسود. كما تشير المادة الواردة في السجل إلى أن المقاطعات الحضرية في بلاد الشام كانت تعطى لمتعهدين يقومون بتسديد مبالغ تحددتها الحكومة سلفاً، فمثلاً احتساب الشام (دمشق) عُهد به إلى محمد نشأت أفندي مقابل ٧٥٠ قرشاً عن عام ١٢٤٨هـ ومثلها في العام التالي وتم تسليم المبلغ للحكومة أيضاً. (٣٧)

أما السجل الثاني فيحتوي على مجموعة من العُهد المسندة لحساب إبراهيم باشا ووالده في مصر وبلاد الشام، ففي بلاد الشام تعهد إبراهيم باشا بالرسوم المطلوبة من تلك الديار على القهوة (البن) الواردة إليها، فمثلاً كان يدفع عن التزامه برسوم القهوة في يافه وغزة والرملة والقدس ٤٠٠٠ قرش عن سنة ١٢٥٠هـ، في حين كان يدفع عن العهدة ذاتها بالنسبة لطرابلس الشام ٦٠٠٠ قرش. (٣٨)

هذان السجلان يخصان سنتين فقط من عشر سنوات هي عمر الحكم المصري في الشام، ومع أن السيدة الفاضلة المسؤولة عن مخزن وثائق الإنتاج قد أكدت بشكل قاطع عدم وجود سجلات أخرى تخص بلاد الشام، فقد تكشف الأيام عن بقية المجموعة، لكن على أي حال فإن السجلين يقدمان نموذجاً واضحاً لواردات الروزنامة من بلاد الشام. وهو مصدر يستفاد منه في دراسة التاريخ الاقتصادي للحكم المصري في الشام؛ من حيث النظام الضرائبي وأنواع التجارة السائدة والصناعات الموجودة ببلاد الشام.

## ٦- محافظ بحر برا

وهي تخص مكاتبات واردة من بحر برا [الخارج] وعددها ثماني عشرة محفظة مرتبة ترتيباً زمنياً، وهي متاحة على ميكروفيلم، ومن ثمّ مُنع الباحثون من الاطلاع على الأصول، يخص فترة الحكم المصري منها المحفظتان [١٧ و١٨] ورقم الميكروفيلم الخاص بهما ٢١٥ و٢١٦ وتغطيان الفترة من محرم ١٢٤٧- محرم ١٢٧٣هـ أما المحافظ قبل السبع عشرة فتقدم مادة تاريخية متناثرة يمكن الاستفادة منها في التمهيد للحكم المصري

في الشام، ولا سيما اصطناع محمد علي بعض القيادات في الشام للاعتماد عليها، فعلى سبيل المثال ساند عبد الله باشا والأمير بشير في صراعهما مع درويش باشا حاكم دمشق، فبعد أن صدر فرمان بعزل عبد الله باشا من ولاية عكا وصيدا وبيروت، توسط محمد علي لدي السلطان حتى صدر عفو عن الباشا المذكور وإعادته إلى منصبه، فاستوجب الأمر البعث برسالة شكر وإعلان خضوع من عبد الله باشا إلى محمد علي باشا والي مصر<sup>(٣٩)</sup>

ويغلب على هذا النوع من الوثائق الصفة الشخصية حيث إن غالبية مادته عبارة عن عرضحالات والتماسات وطلبات واردة من حكام مختلف الأقاليم والقضاة وغيرهم إلى الديوان الخديوي؛ من ذلك طلب وارد من محمد رفعت قاضي الشام الذي يعرض بؤسه وشقاءه وعدم كفاية ما يحصله من المحكمة لمصاريفه ويلتمس العرض على الأعتاب الخديوية، وبالعرض على الأعتاب تبين أنه أرسل إليه عشرة آلاف قرش مع تابعه الذي جاء بهدية<sup>(٤٠)</sup> كما حملت وثائق هذا المصدر التهئة لمحمد علي في مناسبات فتح عكا والانتصارات المتوالية على جيوش السلطان، ومنها على سبيل المثال تهئة وكيل محافظ مكة<sup>(٤١)</sup>

ووثائق بحر برا تخص جهات كثيرة، والقليل منها يتعلق ببلاد الشام، وبعضها باللغة التركية ويتطلب البحث فيها وقتاً كبيراً، لكنها تعد مصدراً للجوانب الشخصية مثل التماسات زيادة المرتبات أو ترميم منازل.

## ٧- سجلات مجلس ملكية تركي

وهي من وثائق المعية التابعة لأمانة السيادة. والسجلات التي تخص فترة الحكم المصري في الشام تقع في مجموعتين: المجموعة الأولى قيد الأوامر الصادرة على مضابط مجلس عالي الملكية (عام) ويُرْمَز لها بالرمز [س/ ١ / ٥١] وعدد سجلاتها ستة تغطي الفترة من [١٢٤٢-١٢٥٢هـ / ١٨٢٦-١٨٣٦م] والمجموعة الثانية فهرس صادر

ووارد قلم ملكية، ويُرمز لها بالرمز [س/ ١١١ ] وعدد سجلاتها سبعة تغطي الفترة من [١٢٥٣-١٢٥٩هـ / ١٨٣٧-١٨٤٣م]

ولا نكاد نلمح فيها إلا ما يتعلق بأحوال القناصل وعلاقة محمد علي بهم والقلق التي سببها هؤلاء للحكم المصري في بلاد الشام، فعلى سبيل المثال ذكرت رفض محمد علي لالتماس الإنجليز بشراء أخشاب من سوريا لتنفيذ مشروع لهم على نهر الفرات، وطلب من رجاله إبلاغ هذا الرفض للكولونيل دو هامل قنصل روسيا، مع تعليق مداعبة قال فيه "أرأيت كيف يقف محمد علي دوماً عند كلمته التي يقولها"<sup>(٤٢)</sup> بما يؤكد أن هناك وعداً سرياً بين محمد علي وقنصل روسيا بالتصدي لمشاريع بريطانيا في المنطقة. ثم أشارت وثيقة أخرى إلى ملايين محمد علي لقنصل الإنجليز كامبل Campel في المسائل التي أثارها الإنجليز في الشام ومنها احتكار الحرير، فأوضح محمد علي أن مراده مقصور على تنظيم أشغال الحرير وأن الأمر لم يصل إلى الاحتكار، وأن المسألة أخذت أكثر من حجمها لدى حكومة الإنجليز، ووعد بكف يد الحكومة عن تشغيل الحرير وتجارته<sup>(٤٣)</sup>

## ٨- محافظ الجهادية ( عسكر إبراهيم باشا )

وهي ضمن أرشيف الجهادية التابع لأمانة السيادة، وتزيد محافظها على خمسين محفظة، ولا أستطيع أن أحدد عددها والفترة التي تغطيها على وجه الدقة؛ نظراً لاختفاء فهرسها من دار الوثائق. وأسجل هنا أنني لم أتمكن من الاطلاع على هذه المحافظ وقت إعداد هذه الدراسة؛ إذ إنها موجودة في مخزن عابدين الحجاز، الذي اختفى منه عدد من الوثائق، وتحول الأمر إلى التحقيق. وبدأت عملية جرد شاملة لمحتويات المخزن وتسجيلها، الأمر الذي يحول دون إطلاع الباحثين عليها. وخطأ كبير وقعت فيه دار الوثائق المصرية، ذلك أنها لم تجر عملية جرد كاملة لوثائقها، فعدد الوثائق في

أي من أرشيفاتها غير معروف، ومن ثمَّ يصعب إثبات عدد الوثائق التي اختفت، الأمر الذي يتسبب في إهدار هذه الثروة القومية.

ومن خلال معلوماتي السابقة عن هذا الأرشيف أستطيع أن أقول إن معظم مادته باللغة التركية والقليل منها باللغة العربية، وهو يوفر مادة وثائقية غزيرة عن جيش إبراهيم باشا في الحجاز وكريت والمورة وبلاد الشام، من حيث تكوينات هذا الجيش وأسلحته وتنظيماته وإمداداته، إضافة إلى جهود إبراهيم باشا الإدارية. وعلى أي حال فقد قدمت محافظ الأبحاث مادة غزيرة عن الموضوعات ذاتها حسبما ذكرنا من قبل.

#### ٩ - محافظ ذوات تركي

وعدد محافظها خمس تعالج الفترة من [محرم ١٢٢٠ - ذو القعدة ١٢٩٦ هـ] وهي مصورة على ميكروفيلم، ومن ثمَّ حُجبت المحافظ الأصلية عن الباحثين. ولا يدخل في نطاق فترة الحكم المصري منها سوى محفظة ٣ قديم/ ١٠ حديث، ومادتها متفرقة، القليل منها يخدم الحكم المصري في الشام، فأشارت إلى اهتمام محمد علي بقناصل فرنسا، لذا أصدر أوامره إلى شريف باشا بضرورة احترامهم ورعايتهم وتلبية احتياجاتهم بما تقتضي الصداقة، وكانت فرنسا تختارهم من العائلات الكبيرة المشمولة بحمايتها<sup>(٤٤)</sup> كما أوردت أنباء ثورة جبل لبنان وتصدي عثمان باشا لها<sup>(٤٥)</sup> وهذه الوثائق مصورة على ميكروفيلم تصويراً رديئاً للغاية، فكثير من الصفحات صورت باهتة وناقصة من أسفل، وغير واضحة المعالم. والمتعلق من وثائق هذه المحفظة ببلاد الشام قليل جداً.

#### ١٠ - الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد علي باشا ثم من ولده إبراهيم

وهي منقولة من سجلات المعية وديوان الخديوي، ومرتبة ترتيباً زمنياً، وهي تشمل كثيراً من الأوامر الصادرة إلى جميع الجهات ومنها بلاد الشام بالطبع، ولها أكثر من نسخة الأولى: مخطوطة موجودة بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ومصورة على ميكروفيلم تحت رقم ٤٢٧٩ وهي النسخة التي يعتمد عليها الباحثون. ويُذكر أنها

ناقصة عن النسخة الموجودة في المحافظ بخمس وثلاثين وثيقة. الثانية: محفوظة بأربع محافظ في دار الوثائق القومية باسم محافظ ملخصات أوامر، ولها أربع محافظ أخرى عن فترة خلفاء محمد علي. الثالثة: نسخة مصورة من المخطوطة، موجودة بدار الوثائق القومية بقاعة الاطلاع.

ويمكن استخلاص مادة تاريخية من الأوامر والمكاتبات توضح سياسة محمد علي في التمهيد للحكم المصري في بلاد الشام بتدخلاته ومحاولاته اصطناع قيادات له هناك، ومنها تدخله لدي الباب العالي من أجل العفو عن يوسف باشا كنج وإعادة تعيينه والياً على الشام<sup>(٤٦)</sup> ثم تدخلاته لمساندة عبد الله باشا، وتوسطه للعفو عنه وتعيينه والياً على صيدا، وأرسل إليه يوزف البشرى مع الأمير بشير، الذي غدا من رجال محمد علي<sup>(٤٧)</sup> وتعتي الأوامر والمكاتبات صورة لاهتمام محمد علي بجيوشه في الشام ومكافأة القادة؛ فبمناسبة فتح عكا أمر بصنع نيشان من البرلنت النفيس نُقش عليه اسم محمد علي، وأهداه لابنه إبراهيم، تكلف هذا النيشان ٦٣٧ كيساً<sup>(٤٨)</sup> وعندما اشتعلت الثورة في بلاد الشام سافر محمد علي بنفسه ليشرف على العمليات العسكرية ضد الخارجين، وعهد بشؤون البلاد إلى رئيس ديوان الخديوي<sup>(٤٩)</sup>

والأوامر والمكاتبات تُعد تصنفاً موضوعياً لمادة مستخلصة من سجلات ديوان معية سنية (تركي) ومن سجلات ديوان خديوي (تركي). غير أن جامع هذه الأوامر غير معروف، كما أن الغرض من جمعها غير معروف أيضاً، ومن جوانب النقص في هذا المصدر أنه لم يذكر المكان الأصلي لكل وثيقة، الأمر الذي يُصعب على الباحث الوصول إلى الأصل أو التحقق منه. وأياً ما كان الأمر فإنها تقدم مادة سهلة للباحث تخدم في مجالات عدة ويمكن الوصول إليها بأكثر من وسيلة.

ب- الأجنبية " الأرشيف الأوربي المحفوظ بدار الوثائق القومية بالقاهرة "

بدأت عملية جمع المادة الوثائقية الخاصة بمصر ونسخها من أرشيفات الغرب بتوجيهات من الملك أحمد فؤاد في العشرينيات من القرن العشرين، عندما استعان بمجموعة مؤرخين من الدول الأوربية لإعادة كتابة تاريخ الأسرة العلوية. وأياً ما كان الدافع لهذه الحركة فقد خدمت التأريخ المصري الخاص بالقرن التاسع عشر، وأثرت دار الوثائق القومية بأرشيف جديد، حتى وإن كانت وثائقه مختارة ومعظمها منسوخ بخط اليد. وينقسم هذا الأرشيف إلى وحدات فرعية منها

### ١ - أرشيف وزارة الخارجية البريطانية FO

وثائق هذا الأرشيف محفوظة في ٦٢ محفظة، تغطي الفترة من [ ١٨٠٠- ١٨٧٧ ] ولكن معظمها يخص النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وهذه الوثائق منسوخة بخط اليد وبالقلم الرصاص من وثائق وزارة الخارجية البريطانية، وتتركز وثائق فترة الحكم المصري في الشام تحت رقمي FO 27,78

ويقدم هذا المصدر مادة تاريخية لموقف الدول الأوربية من الحكم المصري في الشام، ودور قناصلها في مراقبة نشاط محمد علي السياسي والعسكري والاقتصادي، وتقدم تقارير قناصل بريطانيا مادة غزير عن التنافس الأوربي في المنطقة، وتوضح حرص بريطانيا على التصدي لمحاولات روسيا التسلل إلى المنطقة، أو الوصول إلى المياه الدافئة. كما رصدت عيون قناصل بريطانيا بقلق شديد محاولات فرنسا الاستفادة من علاقاتها بمحمد علي. ولا تُخفي التقارير محاولات بريطانيا الاستفادة من علاقاتها بالسلطان العثماني. ومن خلال محفظة رقم [٥] تسلط الوثائق البريطانية الضوء على الفصل الأخير من فصول الحكم المصري في الشام بمساعٍ دبلوماسية لإقناع الدول الأوربية بإرغام محمد علي على التخلي عن ممتلكات الدولة العثمانية والاكتفاء بمصر وراثته وعكا طوال حياته، وهو ما نفذته في معاهدة لندن في مرحلتها الأولى.

وفيما يلي نماذج من هذه المادة إذ يتابع القنصل البريطاني عن كذب أنباء تقدم الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا على الجيش العثماني، ويظهر قلقه الشديد من

العرض الروسي بمساعدة السلطان العثماني ويطلب من دولته التدخل في المفاوضات بين محمد علي والسلطان<sup>(٥٠)</sup> وتذكر الوثائق البريطانية أنه عندما توترت الأوضاع عام ١٨٣٧ توسط القنصل الفرنسي - بإيعاز من السلطات البريطانية- لدى محمد علي لإثباته عن عزمه إعلان الاستقلال عن السلطان العثماني، ومع تصميم محمد علي هده القنصل الفرنسي بحصار أسطول بلاده للمواني المصرية<sup>(٥١)</sup> وفي إطار محاولة بريطانيا الاستفادة من توتر العلاقات بين السلطان ومحمد علي حصلت من السلطان العثماني على المقابل، قبل إجراء أي تحرك ضد محمد علي، تمثل هذا المقابل في المعاهدة التجارية بين الطرفين والمتضمنة مادة بإلغاء الاحتكار في جميع أنحاء الإمبراطورية، واعترض محمد علي على هذه المعاهدة، ونظرت إليها فرنسا بعين الحسد<sup>(٥٢)</sup>

ومحافظ هذا الأرشيف غير مرتبة زمنياً ولا موضوعياً، وليست لها فهارس بدار الوثائق، الأمر الذي يصعب من مهمة الباحث، ولكن يذكر لدار الوثائق أنها أرفقت كل وثيقة بنموذج فهرسة باللغة العربية به بيانات الوثيقة مع تعريف بها، بما يسهل مهمة الباحث. وأحسب أن هذه الفهرسة كانت نواة لمشروع فهرسة هذا الأرشيف، فليته يكتمل. ولا شك أن الاطلاع على وثائق وزارة الخارجية البريطانية المحفوظة في Public Record Office يكون أكثر فائدة للباحث في الشؤون السياسية في تلك الفترة.

## ٢- الأرشيف الفرنسي

ووثائق هذا الأرشيف محفوظة في ثلاث عشرة محفظة تغطي الفترة من [ ١٧٨٤ - ١٨٤١ م ] ، وتتناثر المادة الوثائقية الخاصة بالحكم المصري في الشام في كل محافظ هذا الأرشيف تقريباً، وإن تركزت في محفظة رقم (٥) والتي تغطي عامي [١٨٤٠/١٨٤١] ومحفظة [٧] والخاصة بالفترة من [٧ يناير - ٦ أكتوبر ١٨٣٢] ومحفظة [٨] وبها الفترة من [٢٤ ديسمبر ١٨٣٥ - ٣٠ ديسمبر ١٨٣٦] ومحفظة [٩] وتغطي أعوام [١٨٣٨ - ١٨٤٠]

ويعطي هذا الأرشيف صورة واضحة عن العلاقات التجارية بين فرنسا وممتلكات محمد علي، ومنها بلاد الشام. ونلمح من الوثائق العلاقة الخاصة التي ربطت بين محمد علي وفرنسا، غير أن هذه العلاقة لم تمنع أعين فرنسا (قناصلها) من مراقبة النشاط العسكري والسياسي والاقتصادي لمحمد علي وأثره في الدول الأوروبية، ولاسيما فرنسا؛ ومثال ذلك ما جاء في رسالة قنصل فرنسا إلى وزير خارجية بلاده، والتي يبدي فيها قلقه من التقارب الذي يلمحه في العلاقات المصرية الروسية، ويبرر إمكانية توطيد هذه الصداقة بالأطماع المتبادلة لكل من محمد علي وروسيا في أملاك الدولة العثمانية، وذلك بعد أن سلطت الوثيقة الضوء على المصالح التجارية لفرنسا في سوريا<sup>(٥٣)</sup>

ومحافظ هذا الأرشيف غير مرتبة زمنياً ولا موضوعياً، الأمر الذي يلقي عبئاً على الباحث، لكن فهرسة هذا الأرشيف تساعد الباحث، حيث تعطي نبذة عن كل وثيقة باللغة العربية، لذا جاءت هذه الفهرسة في ثلاثة سجلات كبيرة.

### ٣- الأرشيف الأمريكي

ووثائق هذا الأرشيف مجموعة في ست عشرة محفظة، تغطي الفترة من [١٨٣٥-١٨٧٩] منظمة ومرتببة ترتيباً زمنياً. لا يدخل منها في نطاق الدراسة سوى محفظة رقم [١] التي تغطي الفترة من [٢٨ أغسطس ١٨٣٥-١٧ نوفمبر ١٨٥٣] ووثائق هذا الأرشيف عبارة عن تقارير ومراسلات من قناصل الولايات المتحدة بمصر في كل من الإسكندرية والقاهرة إلى حكومتهم في واشنطن، وهي موجودة في هيئة مجلدين بأرقام صفحات مسلسلية.

وقد كانت الولايات المتحدة منشغلة آنذاك بشؤونها الداخلية، يحكمها مبدأ منرو، لذا جاءت تقارير قناصلها عيناً مراقبة للأحداث، دون المشاركة بشكل فعّال، باستثناء نقطة اهتمام واحدة، هي الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام، التي استغلت سياسة

التسامح الديني للحكومة المصرية؛ فطلب المبشر الأمريكي G.B. Witting من القنصل الأمريكي في القاهرة التوسط لاستصدار إذن من باشا مصر بإقامة كنيسة للإرسالية في القدس، وتوفير الحماية لهم.<sup>(٥٤)</sup> ومن الأحداث التي رصدها القنصل الأمريكي على سبيل المثال مساندة بريطانيا للسلطان العثماني في تأكيد سلطانه ومحاربتها لسياسة الاحتكار التي انتهجها محمد علي في بلاد الشام، ولا سيما في تجارة الحرير<sup>(٥٥)</sup>

وهذا الأرشيف وإن كان مرتباً زمنياً فليس له فهارس بدار الوثائق، الأمر الذي يُصعّب مهمة الباحث في التعرف على محتوياته. لكن في المقابل هناك ورقة مع كل وثيقة تُعرّف بها وبمضمونها، فيما نعتقد أنها بداية لفهرسة الأرشيف. والملف رقم (١) على ورق شفاف متهاك ، فيجب الإسراع بتصوير نسخة منه على ورق أبيض يتحمل التنقل بين أيدي الباحثين. وعلى الرغم من اهتمام التقارير بالوجود المصري في بلاد الشام فإنها لم تفرد مساحة تُذكر للأحداث عندما اشتعلت المشكلة عام ١٨٤٠م.

## ثانياً : الوثائق المنشورة

### أ- العربية

#### ١ - الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا [ الأوراق السياسية ]

جمعها وضبط قراءتها ووضع فهارسها أسد رستم أستاذ التاريخ الشرقي بجامعة بيروت الأمريكية. وجاءت في خمسة مجلدات، نشرتها كلية العلوم والآداب بالجامعة الأمريكية ببيروت فيما بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٤م. جمعها أسد رستم من سجلات المحاكم الشرعية<sup>(٥٦)</sup> في المدن الكبرى ببلاد الشام؛ القدس ويافه ونابلس وصيد ودمشق وطرابلس وحماه وإنطاكية، والموجود منها في سجلات قنصلية بريطانيا في بيروت، ودفاتر البطريركية المارونية في بكركي بلبنان، ومكتبة جامعة بيروت الأمريكية التي جمعت أكثر من أربعة آلاف صورة لرسائل ما بين رسمية وغير رسمية، شكلت نواة هذا المشروع، وكذا الأوراق الموجودة لدى البيوتات الكبيرة في بلاد الشام، جمعها بمجهوده ومعاونة جامعته. وقد رتب هذه الأوراق بحسب تاريخها ترتيباً زمنياً، واجتهد في تحديد

تاريخ تقريبي للوثائق غير المؤرخة. وألزم نفسه بالإشارة إلى مكان وجود الوثيقة ونوع الورق والمرسل والمرسل إليه.

أما عن المادة التاريخية فتقدم الوثائق المستخرجة من سجلات المحاكم الشرعية مادة عن المعاملات الاقتصادية والاجتماعية لمختلف الطوائف، وتسجلاً للفرمانات السلطانية والقرارات الحكومية الخاصة، بالضرائب والتجنيد والإدارة، وكيفية تعيين الحكام والمتسلمين وأسباب عزلهم والمهام المنوطة بهم؛ فعلى سبيل المثال رفع أولو الأمر في القدس التماساً إلى إبراهيم باشا بتعيين يحي بك متسلماً على القدس، فأصدر إليهم مرسوماً بتلبية التماسهم يطالبهم بالسمع والطاعة للمتسلم، ويطالبه بإحقاق الحق وإبطال الباطل وصيانة مال الميري والعمل على راحة الأهالي وعمار البلاد وتأمينها وتحاشي أسباب الجور والتعسف.<sup>(٥٧)</sup>

أما الأوراق الخاصة فتقدم رؤية تاريخية مختلفة عن الرؤية الرسمية، فعلى سبيل المثال رسالة من أحمد أغا النمر بنابلس بفلسطين إلى ولده عبد الفتاح المرافق لإبراهيم باشا، نتبين منها أن إبراهيم باشا بعد أن أخدم ثورة أهل فلسطين ١٢٥٠هـ اصطحب معه رهائن من أبناء العائلات الكبيرة ليضمن هدوءهم وولاءهم ويظهر من الخطاب مدى لهفة الأب على ابنه وإعلان الولاء التام لإبراهيم باشا<sup>(٥٨)</sup> وتقدم الوثائق المحفوظة في الأديرة مادة وافية عن سياسة محمد علي الدينية إزاء اليهود والنصارى ومنها على سبيل المثال خطاب إبراهيم باشا إلى أولي الأمر في القدس برفع الأغفار الموضوعة على الطرقات المؤدية إلى القدس، التي تعوق اليهود والنصارى من زيارة أماكنهم المقدسة، كما رُفعت الترتيبات (الأموال) التي على جميع المعابد والأديرة وجميع طوائف النصارى.<sup>(٥٩)</sup>

كما أن الأوراق الشخصية لدى بعض العائلات المسيحية الكبرى التي ثارت على الحكم المصري عام ١٢٥٦هـ تلقي الضوء على علاقة هؤلاء بالإنجليز والدولة العثمانية؛ فمن رسالة محمد عزت القائد العثماني إلى الشيخ فرنسيس الخازن يتضح أن

عائلة الخازن كانت تقبض على الجنود المصريين وتجردهم من أسلحتهم وأموالهم وتسلمهم للدولة العثمانية بمقتضى اتفاق بين الطرفين.<sup>(٦٠)</sup> كما حاولت طوائف النصارى اقتناص الفرصة؛ فرفع الموارنة شروطهم للسلطان عقب نجاح ثورتهم، يطالبون بحرية الحركة ورفع الضرائب والرسوم والجمارك وحرية إقامة المباني والكنائس والأديرة دون إذن، وأن تكون السلطة العليا فيهم للبطريرك، وأن تؤول تركة من لا وارث له من هذه الملة للبطريرك، وأن يكون حاكم جبل لبنان مارونياً.<sup>(٦١)</sup>

وتعد الأصول العربية مصدراً مهماً للحكم المصري في الشام، فهي مصدر مكمل للوثائق الموجودة في دار الوثائق بالقاهرة. وتأتي أهميتها من أن جزءاً منها وبخاصة المراسلات غير الرسمية يعبر عن وجهة نظر أهالي بلاد الشام في الحكم المصري. وقد التزم الناشر بمنهج تاريخي معتدل عند نشر هذه الأصول، فلم يتدخل في الأصل ولم ينتق عينات من الوثائق إيماناً منه بأن لغة الأصل جديرة بالنشر حتى لو كانت خطأ، فقد تخدم البحث العلمي فيما بعد، أو تكون لها مدلولات لغوية لا يدركها الناشر، فالتاريخ يناقش ما وقع بالفعل وليس ما يجب أن يكون<sup>(٦٢)</sup>

ولا شك أن العناية بهذه الأصول قبل أن تندثر إنما هو أمر جدير بالاحترام يخدم حركة التاريخ وينم عن وعي ثقافي، ولا سيما أنها غير محفوظة بدار ووثائق أو محفوظات، ويتوقف أمر حفظها على درجة وعي مقتنيها، وهي تتفاوت من إنسان إلى آخر. وقد أشار أسد رستم إلى كثير من الأصول التي اندثرت، ومنها بعض سجلات المحاكم وكثير من أوراق القناصل وأوراق الأمير بشير وغيرها، وقد كان للحكومة التركية دور في مصادرة كثير من هذه الأوراق وإتلافها عن عمد بعد استعادة بلاد الشام. وأخيراً فإن هذه الأوراق صنفها أسد رستم على أنها أوراق سياسية، لكن من يقبلها يجد فيها شؤوناً إدارية ودينية واقتصادية من ضرائب وجمارك ومال ميري، وبها معارك حربية وقضايا عسكرية، فمن الظلم أن يُذكر في العنوان أنها أوراق سياسية فقط.

## ٢- المحفوظات الملكية المصرية " بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير "

جمعها وأشرف على ترجمة بعضها أسد رستم أيضاً، فبعد نجاحه في نشر مجموعته الأولى [الأصول العربية] في الثلاثينيات من القرن العشرين عكف أسد رستم على جمع وثائق الشام المحفوظة في " المحفوظات الملكية المصرية " بقصر عابدين<sup>(٦٣)</sup> بعد أن حصل على تصريح بحرية العمل من الملك فاروق<sup>(٦٤)</sup> فتمكن أسد رستم من جمع [٦٦٧١] وثيقة من محافظ عابدين وسجلات عابدين تركي، ويلاحظ أنه اتبع مع الوثائق التركية طريقة التلخيص الذي لا يخل بالمعنى، وهي الطريقة ذاتها التي اتبعت في محافظ الملخصات. نشرت هذه الوثائق الجامعة الأمريكية أيضاً في النصف الأول من عقد الأربعينيات، في أربعة مجلدات من الحجم الكبير، يصل الواحد منها إلى خمسمائة صفحة.

وكان منهج أسد رستم في نشر هذه الوثائق الالتزام بالترتيب الزمني، وأعطى لكل وثيقة رقماً متسلسلاً، وضم وثائق كل عام هجري على حده، وقدم له بأوائل الأشهر العربية وما يقابلها من أيام الأشهر المسيحية. أما الوثائق فيعطي في مطلع كل وثيقة تعريفاً بالمرسل والمرسل إليه وتاريخ الرسالة، وفي نهاية الوثيقة يشير إلى مصدرها ورقمها، ليسهل على الباحث الوصول إلى الأصل. وتكتمل الأهمية التاريخية لهذا المصدر بفهارسه التي بدأها أسد رستم ثم انشغل عنها عندما شغل منصب مستشار شرقي في المفوضية الأمريكية ببيروت. ولكن بتشجيع من المؤرخ المصري الكبير شفيق غريال، ومنحة من الجمعية الملكية المصرية للدراسات التاريخية أوكل أسد رستم أمر إكمال الفهارس بإشرافه إلى تلميذ له بالليسانس يدعى صبحي أبو شقرا، وهي ثقة مهمة في تربية الباحثين، وبالفعل تمت الفهارس ونشرتها الجمعية عام ١٩٥٠، وقد استفادت الفهارس من ترقيم الوثائق وقدمت ترتيباً أبجدياً بأسماء الأعلام والأماكن المشهورة والموضوعات العامة كالتجارة والزراعة والأسطول. مع ذكر أرقام الوثائق التي

تتعلق بكل منها وعناوين هذه الوثائق. وهي تفيد الباحث إفادة عظيمة في الوصول إلى غايته من وثائق هذا المصدر.

والمادة التاريخية التي يقدمها هذا المصدر تخدم في جميع النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية، وهي ذاتها المجالات التي ذكرناها عند الحديث عن محافظ الأبحاث، وهي المادة الوثائقية نفسها، لذا فإعطاء نماذج منها سيكون ضرباً من التكرار غير المحمود. وقد اعتمدت عليها وعلى الأصول العربية مجموعة أبحاث ودراسات ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، التي نشرتها الجمعية الملكية المصري للدراسات التاريخية عام ١٩٤٨، بمناسبة مرور مائة عام على وفاته.

ولم يتمكن أسد رستم من نشر وثائق الشام كاملة، فهي تزيد على العشرين ألف وثيقة، لكنه نشر كماً كبيراً منها، والتزم بمنهج تاريخي قويم؛ فنشر وثائق متنوعة غير منتقاة بنصها دون تدخل منه بتعديل الألفاظ التي يعتقد أنها خطأ، إيماناً منه بأن ما لا تظهر قيمته الآن قد تظهر قيمته غداً، وأن مدلولات الألفاظ تتغير من مكان إلى آخر ومن زمن إلى آخر، ومع تقديرنا لهذا المنهج لكننا نعتقد أن من الأفضل أن يتم التدخل بالتعليق أو الإيضاح في الحاشية. ومن الأخطاء القليلة التي وقع فيها أسد رستم أنه لم يشر إلى لغة كل وثيقة في أصلها بالعربية أو بالتركية. وأياً ما كان الأمر فإنه عمل متكامل يستحق التقدير، ويقدم للباحثين خدمة سهلة، وإن بقي الأفضل الاطلاع على الأصول الموجودة بدار الوثائق تفادياً لأخطاء النشر.

٣- فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا " نقلاً عن تقارير أنطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا " (١٨٣١-١٨٤١)

عربها وعلق عليها الخوري بولس قرألي ونشرتها مطبعة العلم بلبنان [١٩٣٧] وهي عبارة عن وثائق منقاة ومترجمة عن الفرنسية من سجلات القنصل المذكور إبان الحكم المصري، وتضم تقاريره ومراسلاته مع رؤسائه وزملائه في الأستانة ومصر والنمسا. والأصل محفوظ في دار الكتب اللبنانية، اختار منها المترجم إحدى وستين وثيقة،

وأضاف إليها سبع وثائق من خزانة دير بكركي بלבنا. فبلغت وثائق هذا المصدر تسعاً وستين وثيقة، قدمها الناشر مترجمة إلى العربية بنصها، دون تدخل بتعليق أو بتعديل، والتزم بالإشارة إلى لغة الوثيقة الأصلية، ومكانها في سجل كتافاكو. وتتميز فهرسة المصدر بالبساطة والوضوح؛ حيث يذكر رقماً مسلسلاً للوثيقة ويتخير لها عنواناً يدل على المحتوى.

أما عن المادة التي تقدمها هذه الوثائق؛ فمن الواضح أن الوثائق السبع المختارة من مكتبة بكركي المارونية الغرض منها إظهار مكانة الموارنة ودورهم في صناعة الأحداث. أما وثائق كتافاكو فتقدم مادة تاريخية متسلسلة تخدم الأحداث من بداية دخول القوات المصرية وحصار عكا، ثم فتح المدن الشامية ومدن آسيا الصغرى ولم ينس أحداث الثورة في فلسطين وجبل الدروز ثم في جبل لبنان، وكذا التدخل الدولي والاتفاقيات المعقودة. وتعطي تقارير هذا المصدر صورة للنشاط الاقتصادي والمساواة الدينية وقضايا الاحتكار والتجنيد. والملاحظ أن التقارير كانت تأتي أحيانا شاملة لأكثر من موضوع، فعلى سبيل المثال في تقرير إلى قنصل النمسا بالإسكندرية يقول كتافاكو "كنا خائفين أن يحتكر إبراهيم باشا محصول الحرير كله هذا العام، لكنه اكتفى بعشرين ألف أقة منه، وأثار خوفنا من محصول القطن عندما أمر بإدخال كل محصول صدف ونابلس منه إلى مخازنه، وهدد المخالفين بالليمان، لكنه تراجع وصرح للأهالي ببيع محصولهم لمن شاءوا، لكن للآن لم يتجاسر أحد من التجار على شراء هذا الصنف ... وقد تألفت في هذا الجبل [لبنان] أحزاب تميل إلى الحكومة التركية ... ولا أعتقد أن إبراهيم باشا ناجح في تجريد الأهالي من السلاح ... إنه لأهون على هؤلاء أن يسلموا نساءهم من تسليم سلاحهم، وأرى أنه سيجد صعوبة كبيرة في تجنيد عدد كبير" (٦٥)

ومما لا شك فيه أن انتقاء الوثائق التي تنشر يقلل من أهمية المصدر، ويثير الشكوك في الهدف من النشر، وإن كان الهدف من الانتقاء في هذا المصدر على ما يبدو تقليل حجم المصدر، الذي جاء في أقل من مائة صفحة، فاختر وثائق مفردة

متسلسلة تفيد في تسلسل الأحداث، وكان من الأفضل نشر وثائق كتافاكو كلها، فهي تخدم البحث العلمي أكثر، وتأتي أهمية هذا المصدر في أنه يعبر عن وجهة نظر رسمية معاصرة للأحداث ومشاركة فيها بقدر ما.

#### ٤- مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان (١٨٤٠ - ١٩١٠)

جمع وتعريب فيليب وفريد الخازن، صدرت الطبعة الأولى منه في ثلاثة أجزاء في بيروت عام ١٩١٠، والكتاب يجمع الوثائق العربية الواردة في كتاب البارون دي تستا "معاهدات الباب العالي" مع تعريب لبعض الوثائق. وتأتي أهمية هذا الكتاب في أنه يتضمن منقيات من كتب قناصل إنجلترا وفرنسا ورجال السياسة بهما، المتعلقة ببلاد الشام. ويضاف إليها مجموعة من الرسائل المخطوطة الموجودة لدى عائلة الخازن. وهي وثائق تخص بلاد الشام في الفترة المذكورة، ولا يخصنا منها سوى البدايات وهي متعلقة بنهاية الوجود المصري في بلاد الشام، الموجودة في المجلد الأول من هذا المصدر، وهي خمس وعشرون وثيقة فقط. ومنهج المصدر هو نشر الوثائق كاملة دون تدخل، وتصنيفها زمنياً تصاعدياً، مع إشارة إلى مصدر الوثيقة في نهايتها، وهي طريقة في التوثيق والتصنيف لا بأس بها.

والوثائق الخاصة بنهاية الحكم المصري في الشام تلقي الضوء على ثورة جبل لبنان، وتشير إلى دور إنجلترا في إثارة الفتن والقتال ضد الحكم المصري، ووجهة نظر فرنسا في الدفاع عن محمد علي، فعلى سبيل المثال أوضح رئيس الوزراء الفرنسي إلى نظيره البريطاني أن بلاده ترغب في حل المسألة الشرقية بالطرق السلمية من أجل الصالح العام، لذا فهي لم تستحسن المشاريع التي تهدف إلى انتزاع بلاد الشام بالقوة من محمد علي، فهي ترى أن السلطان غير قادر الآن على إدارة هذه الأقاليم، وهذا الإجراء لا يخدم تركيا ولا يحفظ التوازن في المنطقة، إذ يُضعف أميراً تابعاً للسلطان يمكنه أن يساهم في الدفاع عن السلطنة، وليس لدى الدول الأوروبية ذريعة لضرب

محمد علي، واستخدام ثورة جبل لبنان للتدخل أمر مشين<sup>(٦٦)</sup>

والمصدر لاثنتين من المثقفين الموارنة يعملان في مجال الصحافة، متعمقة لديهما النزعة الانفصالية لجبل لبنان في وقت مبكر قبل الانتداب الفرنسي لهذا البلد. وتركز هذه المجموعة على الوثائق الخاصة بلبنان ودور فرنسا؛ فالأصول التي تخص الحكم المصري حوالي خمس وعشرون وثيقة منها ثلاث عشرة وثيقة متعلقة بلبنان، وعشر وثائق خاصة بموقف فرنسا المعارض لخروج محمد علي من بلاد الشام. والوثائق بصفة عامة منتقاة تركز على دور الموارنة في صناعة الأحداث وتبرئ ساحتهم من الأزمات التي اجتاحت المنطقة عامي ١٨٤١ و١٨٦١

#### ٥- وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث [ ١٥١٧ - ١٩٢٠ ]

جمعها وعلق عليها عبد العزيز سليمان نوار، ونشرتها جامعة بيروت العربية ١٩٧٤، وهي عبارة عن مجموعة وثائق خاصة بتاريخ لبنان الحديث جمعها د. نوار من مصادر متنوعة، ومهد لها بدراسة موجزة عن تاريخ لبنان، قسمه خمس مراحل منها الفترة من ١٨٣١-١٨٤١، وأطلق عليها فترة الحكم المصري الشهابي المشترك، بلغت وثائق هذه الفترة في ذلك المصدر أربعاً وعشرين وثيقة، من أصل ١٥٢ وثيقة هي كل أصول هذا المصدر. وقد التزم د. نوار بتمهيد لكل وثيقة بمقدمة يبين فيها الخلفية التاريخية، ثم يأتي بنص الوثيقة كما هو، وإذا استدعت الضرورة توضيح مرادف أو مدلول كلمة فعن طريق الهامش، وهذا المنهج لا يقدمه إلا مؤرخ مُلم بالأحداث التاريخية. ويستفيد منه القارئ العادي أكثر من الباحث.

أما المادة التاريخية التي تقدمها الوثائق الخاصة بفترة الحكم المصري في هذا المصدر فتخدم في دراسة تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي والديني، إضافة إلى قضية جمع السلاح وعلاقتها بالثورة في جبل لبنان، ودور بريطانيا في هذه الثورة، كما يقدم مادة عن مدى استقلالية القضاء في ظل الحكم المصري؛ فعلى سبيل المثال تبين إحدى الوثائق تمتع القضاء في ظل الحكم المصري باستقلالية تامة؛ إذ أصدرت

محكمة نابلس حكماً قضائياً لصالح عبد القادر أفندي زاده أحد أعيان لبنان باسترداد أرضه التي استولى عليها المتسلم مصطفى أغا بربر لعدم وفائه بالتزامات مالية للحكومة، وقد صدر الحكم بعد إثبات ملكيته لها وسماع شهادة الشهود<sup>(٦٧)</sup>

والملاحظ أن الوثائق الخاصة بلبنان في فترة الحكم المصري في هذا المصدر مأخوذة من مصادر أخرى منشورة مثل الأصول العربية والمحركات السياسية والمحفوظات الملكية المصرية وغيرها من مصادر الشام، وعلى ذلك فالهدف من هذا المصدر تجميع الوثائق الخاصة بلبنان والتعليق عليها، وتقديمها للقارئ، وكان من الأفضل تضمينها بعض الوثائق التي لم يسبق نشرها عن فترة الحكم المصري على الأقل، فعلى سبيل المثال رسالة محمد علي باشا إلى الأمير بشير التي يحثه فيها على عدم التردد والمشاركة في الحرب إلى جانب إبراهيم باشا<sup>(٦٨)</sup> أخذها المحقق من أحد المراجع في حين، أن لها أصلاً في دار الوثائق، هدد فيه محمد علي الأمير بشير باستخدام القوة ضده إذا لم يمثل لأوامره.<sup>(٦٩)</sup>

## ٦- وثيقة الدردار وقضية البراق

تحليل أسد رستم، ونشرتها المطبعة الأمريكية ببيروت ١٩٣٠، وهي دراسة تحليلية لوثيقة من عهد الإدارة المصرية أظهرها الحاج أمين الحسيني في صراع المسلمين مع اليهود حول أحقية اليهود في حائط البراق الذي يطلقون عليه [حائط المبكى]. والوثيقة أمر موجه من محمد شريف باشا حكمدار بر الشام بناء على أوامر إبراهيم باشا إلى أحمد أغا دردار متسلم القدس بمنع اليهود من تبليط محل البراق وتحذيرهم من رفع الصوت في الصلاة، وتعطى لهم رخصة فقط بالزيارة على الوجه القديم، والوثيقة بتاريخ ٢٤ ربيع أول ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م

ويقوم منهج الدراسة على نقد الوثيقة من حيث نوع الورق والحبر والخط والمساحة المكتوبة ولغة الوثيقة وألفاظها والمرسل والمرسل إليه والظرف التاريخي؛ فأورد عدداً من شهادات الرحالة الأجانب الذين زاروا القدس ليقارن وضع اليهود بما ورد في الوثيقة<sup>(٧٠)</sup>

وهو منهج صحيح في النقد التاريخي<sup>(٧١)</sup> كما أورد سبع وثائق إدارية أخرى تنتمي إلى ذلك العصر للمقارنة، وتوصل في النهاية إلى أنها وثيقة صحيحة ومن ثم فلا حق لليهود في تعميم المحل المذكور.

والدراسة رغم صغر حجمها إذ لم تتعد الأربع عشرة صفحة، فإنها نموذج للنقد الظاهري والباطني، وهي تعالج قضية في غاية الأهمية، وتبين مدى أهمية وثائق ذلك العصر وتجعل من الحفاظ عليها ضرورة ملحة. ويمكن الاستعانة بالوثائق السبع الأخرى في دراسة الأوضاع الإدارية والثورة الفلسطينية.

#### ٧- نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر

جمعها وقدم لها محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس والسيد رجب حراز، ونشرتها الأنجلو المصرية ١٩١٠م. وهي عبارة عن نماذج متباينة من وثائق تاريخ مصر والعالم العربي، ومنهج الدراسة في هذا المصدر نشر الوثيقة كما هي دون تدخل، إلا إذا اقتضت الضرورة بتوضيح كلمة في الحاشية، مع تقديم تعريف بالوثيقة وتاريخها، والإشارة إلى مصدر الوثيقة في الحاشية، وهذا المنهج يفيد الباحثين أكثر من القارئ العادي. ويلاحظ هنا أن الوثائق معظمها من أصول منشورة، والهدف من إعادة النشر تجميع الوثائق ذات العلاقة من أكثر من مصدر، كما هو الحال في المسألة المصرية. ويدخل في نطاق دراستنا لمصادر الحكم المصري في الشام من هذا المصدر ما يلي:

#### أ - تقرير بورنج John Bowring

وبورنج عضو في مجلس العموم البريطاني، أوفدته حكومته عام ١٨٣٧م لوضع تقرير عن حالة مصر وما ينتظر أن تكون عليه في المستقبل، وقدم تقريره في مارس ١٨٣٩. وليس للتقرير علاقة بالحكم المصري في الشام بشكل مباشر، ولكن اختيار زمن التقرير يدل على علاقته بالمسألة المصرية، فعلى أساسه بنت الحكومة البريطانية موقفها من محمد علي والوجود المصري في بلاد الشام. جاء التقرير شاملاً

فتحدث عن أجناس السكان وطوائفهم ومشاكلهم، وركز على مسألة الرقيق ومصادره والوسائل الوحشية في اقتناصه، كما تحدث عن النشاط الاقتصادي من زراعي وصناعي وتجاري، وحاول إظهار فشل الصناعة المصرية وأنها لا طائل من ورائها، وتحدث في هذا الأمر مع محمد علي، الذي أجابه بأن "الهدف من المشاريع الصناعية تعويد الشعب على الاشتغال بالصناعة، لا انتظاراً لربح يجنيه"<sup>(٧٢)</sup> وجاءت الصورة العامة لمصر من خلال التقرير قاتمة، الأمر الذي شجع بريطانيا على تزعم التحالف الدولي للوقوف في وجه مشروع محمد علي التوسعي.

### ب- تسوية المسألة المصرية (١٨٤٠/١٨٤١)

ويتضمن هذا الملف وثائق تسوية المسألة المصرية، ويبدأ بالاتفاق المبرم بين السلطان العثماني وملوك الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا وروسيا لحماية الدولة العثمانية من محمد علي، في ١٥ يوليو ١٨٤٠، وملحق بهذا الاتفاق معاهدة لندن في التاريخ ذاته، التي ضمت سبعة بنود لإرغام محمد علي على العودة إلى مصر بشروط. والوثيقة الثالثة نص كتاب وزاري مقدم لمحمد علي من جانب الدولة العثمانية، في ٢١ ذو القعدة ١٢٥٦هـ/ ١٥ يناير ١٨٤١م. أما الوثيقة الرابعة فهي صورة الخط الشريف الهمايوني (الفرمان) الذي منح محمد علي ولاية مصر بطريق التوريث تحت شروط، في ٢١ ذو الحجة ١٢٥٦هـ/ ١٣ فبراير ١٨٤١م. ووثائق هذا الملف تفيد في المشهد الختامي للوجود المصري في بلاد الشام، وإرغام القوات المصرية على الانسحاب، بعد أن تصدت لها قوات التحالف الدولي بزعامة بريطانيا.

### ب- الأجنبية

#### ١ - La Mission de Baron de Boislecote, L'Égypte et La Syrie en 1833

وهي تضم أوراق البارون Boislecote عن مهمته إلى مصر وسوريا في مايو ١٨٣٣، والتي جاءت بعد إقرار الأمور باتفاقية كوتاهاية (٨ إبريل ١٨٣٣)، فالتقى بمحمد علي ورجال إدارته ودارت محادثاته معهم حول المصالح التجارية الفرنسية

وتأكيد الحماية الفرنسية على الكاثوليك وبخاصة في الأراضي المقدسة. ونشرها Georges Douin عام ١٩٢٧ عن طريق الجمعية الملكية الجغرافية المصرية في إصدار خاص. ويحتوي المصدر على تقارير ومراسلات دبلوماسية تخص الحكم المصري في سوريا في المدة من مايو إلى أغسطس ١٨٣٣. اتبع دوان المنهج الفرنسي في الفهرسة، فقدم عرضاً للوثائق مرتباً زمنياً مع ملخص لكل وثيقة إضافة إلى عنوانها وتاريخها، وقسم الوثائق إلى ثلاثة أقسام تحمل عنوان مهمة بواسلكومه في مصر، ومصر عام ١٨٣٣، وسوريا عام ١٨٣٣.

أما بالنسبة للمادة التاريخية التي يقدمها هذا المصدر فإنه يرصد التطورات السياسية والاقتصادية في المنطقة، وأجناس السكان وطوائفهم والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. كما رصد بواسلكومه الحالة السياسية في سوريا، ومما يلفت النظر إشارته إلى نشاط البدو في السلب والنهب بالإغارة على المناطق الحضرية والزراعية وقطع الطرق. (٧٣) ويبدو أن قصر مدة إقامة بواسلكومه التي لم تزد على أربعة أشهر واقتصارها على الساحل قد أثر سلبياً على تقديره للأمور، فقد قلت هذه الجرائم تماماً في ظل الحكم المصري، حيث رصد قنصل بريطانيا في دمشق دور الإدارة المصرية في إقرار الأوضاع وتعمير القرى التي هجرها أهلها وإكراه البدو على احترام السُلطة، فغدا السكان بمأمن من هجمات البدو. (٧٤) والملاحظ أن معظم هذه التقارير موجهة إلى الوزير دون أن يحدد من هو هذا الوزير، والأرجح أنه وزير الخارجية الفرنسي، والأسلوب ذاته متبع في وثائق الأرشيف الفرنسي بدار الوثائق بالقاهرة.

واهتمام جورج دوان وهو من رجال البحرية الفرنسية في الحرب العالمية الأولى بنشر هذا المصدر يدل على وعي ثقافي وتاريخي، وليس هذا هو العمل الوحيد له، فقد نشر في العشرينيات مراسلات قناصل فرنسا بمصر في أعقاب الحملة الفرنسية في أربعة مجموعات وثائقية، وله مؤلفات أخرى عديدة.

٢- Le Conflit Turco –Égyptien (1838-1841) et le dernières années

## du Règne de Mohamed Aly D`après les Documents Diplomatiques Grecs

وهي مجموعة من الوثائق الدبلوماسية اليونانية تضم تقارير ومراسلات القنصليات اليونانية في الإسكندرية وبيروت وطرابلس وكريت مع وزارة الخارجية اليونانية، عني بنقلها إلى الفرنسية وفهرستها أثناس بوليته Athanase Politis ونشرتها الجمعية الملكية الجغرافية المصرية، في إصدار خاص عام ١٩٣١. وقدم الناشر فهرس تحليلي تضمن ملخصاً بسيطاً لكل وثيقة مع عنوانها والمرسل والمرسل إليه، ورتبها ترتيباً زمنياً قدر الإمكان. ويدخل في نطاق الدراسة من وثائق هذا المصدر حوالي ١١٥ وثيقة.

أما المادة التاريخية التي يقدمها هذا المصدر فقد ركزت على الثورات والاضطرابات التي قامت ضد الحكم المصري في بلاد الشام، وقد يرجع ذلك إلى أمرين الأول: طبيعة فترة أواخر الحكم المصري في بلاد الشام والثاني: تأثر أهل اليونان بالظروف السياسية لبلادهم التي تمردت على الحكم التركي. كما رصدت التقارير التحركات الحكومية على كافة المسارات لإخماد الثورات، فعندما اشتعلت الثورة في جبل الدروز وصل إلى صيدا مصطفى باشا من كريت على رأس قوة غير نظامية من ستة آلاف مقاتل ألباني وكريتي للمشاركة في إخماد التمرد (٧٥) واعتمدت التقارير في بعض الأحيان على تقارير إدارة الجيش المصري، ومنه على سبيل المثال التقرير الصادر عن ثورة الدروز في حاصبيا وراشيا في إقليم بيلان، في محرم ١٢٥٤/أبريل ١٨٣٨ واستعداد قوات اللواء السادس مشاه والفرق غير النظامية، وتفاصيل المعارك على مدار خمسة أيام (٧٦)

ولا شك أن نقل وثائق هذا المصدر من اليونانية إلى الفرنسية يسهل على الباحثين مهمة الاطلاع عليها. وقد اقتصر هذا المصدر على رصد الأحداث دون تحليل أو تدقيق، نظراً لقلّة خبرة رجال الدبلوماسية اليونانية، فهي دولة حديثة الاستقلال.

## LE RÉGN DE MOHAMED ALY d`après Les Archives Russes -٣

## en Égypte

وفيه نشر رينه قطاوي **Renè Cattau** الأرشيف الروسي بالقاهرة في ثلاثة أجزاء باللغة الفرنسية، ضم الجزء الأول التقارير القنصلية من (١٨١٩-١٨٣٣) نشرته الجمعية الملكية الجغرافية بمصر عام ١٩٣١، وهو يغطي السنوات الثلاث الأولى من الحكم المصري في الشام، حث كان لروسيا وكالة قنصلية منذ عام ١٨١٩، وأسند الإشراف القنصلي العام لإحدى القنصليات الأوربية في مصر. واختص الجزء الثاني بأوراق القنصلية في فترة دوهامل [١٨٣٤-١٨٣٧] Duhamel ونشرته الجمعية الجغرافية بروما عام ١٩٣٥، أما الجزء الثالث فيحتوي على أوراق القنصلية في فترتي مديم [١٨٣٧-١٨٤١] Medem وكريمر [١٨٤١-١٨٤٤] Krehmer ونشرته الجمعية الجغرافية بروما عام ١٩٣٦. ووثائق هذا الأرشيف عبارة عن أوراق القنصلية الروسية بالقاهرة والإسكندرية ومراسلاتهم مع نظرائهم في المدن الشامية، وتقاريرهم اليومية ومراسلاتهم مع حكومتهم في موسكو.

أما بالنسبة للمادة التاريخية فتقدم وثائق هذا المصدر رؤية قناصل روسيا لتجربة محمد علي، وهي رؤية معادية، فالتجربة لا تزيد في نظرهم عن مغامرة لباشا تركي استغل المناطق العربية لتحقيق أطماعه، لكنها في الوقت نفسه عين راصدة للأحداث العسكرية والسياسية والاقتصادية في المنطقة. وقد لعب القنصل الروسي دور الوسيط بين الأستانة ومصر، وناقش محمد علي في أدق التفاصيل العسكرية، فعلى سبيل المثال في تقرير للقنصل الروسي بالإسكندرية في ٢٤ نوفمبر ١٨٣٧ سأل محمد علي عن التحركات العسكرية المصرية ضد قبائل العنايزة بين سوريا وبغداد، وأعرب عن قلق الأستانة من هذه التحركات. فتعجب محمد علي من هذا الأمر قائلاً: رجالنا هناك يعملون من أجل تنمية الزراعة والصناعة لا من أجل الحرب، ونحن نعلم من يحشد قواته على حدودنا في آسيا الصغرى، فنحن نعمل من أجل السلام وغيرنا يعمل من أجل الحرب. ورد القنصل بأن هناك قوات حربية تركية في ديار بكر منذ ثلاث سنوات،

ولم أسجل شكوى منكم ضد هذه القوات. فقال محمد علي أنا لا أقصد هذه القوات، ولكن هناك تحركات عسكرية أخرى.<sup>(٧٧)</sup>

كما سجلت تقارير القنصليات الروسية كافة التحركات العسكرية والدبلوماسية لإنهاء المسألة الشرقية، ومنها علي سبيل المثال تفاصيل رفض محمد علي قرارات مؤتمر لندن التي حملها إليه مندوبو دول التحالف الأربع (قنصل بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا في مصر) وجهود قنصل فرنسا من أجل إقناع محمد علي بضرورة قبول شروط المعاهدة المعقودة في ١٥ يوليو ١٨٤٠ قبل مرور عشرة أيام.<sup>(٧٨)</sup>

ومما لا شك فيه أن نشر وثائق الأرشيف الروسي باللغة الفرنسية يسهل على الباحثين مهمة الاطلاع علي وثائقه. وقدم قطاوي فهرساً للأعلام وآخرًا للموضوعات، ويتميز الفهرس الأخير بذكر عنوان الوثيقة وتاريخها مع ملخص لمحتوى الوثيقة، فقد استغرق الفهرس في المجلد الثالث وحده مائة صفحة (من ٨٠٦-٩٠٦) تضم ملخصات ٣٨٢ وثيقة، وهي طريقة مميزة في الفهرسة، تسهل مهمة الباحث في الوصول إلى هدفه. كما رتب قطاوي الوثائق في المجلدات الثلاث ترتيباً زمنياً قدر الإمكان، فجمع وثائق كل عام على حده، وحاول من خلال المادة العلمية أن يتحرى الإطار الزمني للوثائق غير المؤرخة، وما أكثرها في هذا الأرشيف. ولا شك أن نشر هذا العمل يدل على وعي تاريخي.

#### ٤ - The Missionary Herald Reports from Ottoman Syria (1819 - 1870)

وهي تقارير نشرتها صحيفة The Missionary Herald التي تصدرها الكنيسة الإنجيلية الأم بالولايات المتحدة منذ عام ١٨٠٥ وهي في الأصل تقارير رجال الإرسالية الإنجيلية من المدن والقرى التي تمثل ميدان عملهم التبشيري؛ فهي تقارير إما عن رحلات استكشافية لمعرفة طبيعة المجتمع، أو تقارير عن أعمال أعضاء الإرسالية في المجالات التبشيرية والتعليمية والخدمات الإنسانية، وهي لا تحتاج إلى تعليق؛ لذا قام اثنان من رجال هذه الكنيسة، هما كمال صليبي ويوسف خوري بتجميع التقارير

الخاصة بالشام من الصحيفة المذكورة، وقاموا بنشرها كما هي بلغتها دون تدخل أو تعليق. وتشمل التقارير العمل منذ بدايته عام ١٨١٩ حتى عام ١٨٧٠، فشكلت خمسة مجلدات، نشرها المعهد الملكي للدراسات العقائدية المقارنة بعَمَّان ١٩٩٥م، والمجلدان الثاني والثالث يغطيان فترة الحكم المصري في الشام.

وإضافة إلى النشاط الديني ترصد التقارير الشؤون الاجتماعية والحالة الاقتصادية، مع إشارات سريعة إلى الأوضاع السياسية للبيئة التي يعملون من خلالها، فهي بمثابة تقارير رحالة، فعلى سبيل المثال يتضمن أحد التقارير بعد ذكر أسماء المرسلين ومهام عمل كل منهم ومكان خدمته، يتحدث التقرير عن الدروز من ساكني جبال لبنان، وتراوح عددهم بين ٦٠ و ٧٠ ألف نسمة، ومن خلال مدرسة البنات التي بدأتها Miss Dodge لاحظت الإرسالية أن الدروز مختلفون عن باقي المسلمين، فهم أقرب إلى تصديق الأفكار المسيحية، وفي التقرير ذاته وصف للحياة الاجتماعية الفقيرة في سوريا، وعدم صلاحية الطرق للترحال، وعدم توفر أماكن للإقامة العامة مثل الفنادق، وارتفاع تكاليف النقل على ظهور الحيوانات كما يسجل التقرير كرم أهالي بلاد الشام وتفانيهم في إرشاد الغرب وخدمته. وفي وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمارة القديمة ينتقل التقرير بين مدن الشام وقراها، وصولاً إلى دمشق للحصول على تصريح تجول في حوران من شريف باشا<sup>(٧٩)</sup> ومن مشكلات هذا المصدر أنها مجلدات ضخمة يبلغ الواحد منها حوالي خمسمائة صفحة وبدون فهرسة، وعلى الباحث أن يستفيد من الترتيب الزمني للوثائق. وهذا المصدر يدل على الوعي الثقافي للقائمين به، ونتمنى أن ينتقل هذا الوعي إلى رجال الكنيسة الإنجيلية في مصر ليقوموا بجمع التقارير الخاصة بنشاط المرسلين الأوائل.

وقد اعتمد على هذا المصدر الباحث عبد الرزاق عيسى في رسالته لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب جامعة عين شمس بعنوان " التبشير الأمريكي في بلاد الشام

(١٨٣٤ - ١٨١٤) وتوصل في الفصل الخاص بموقف الإدارة المصرية من التبشير الأمريكي في بلاد الشام إلى أن سياسة التسامح الديني التي اتبعتها محمد علي شجعت الإرسالية الأمريكية على تكثيف نشاطها هناك، فنقلت مطبعتها من بلاد اليونان إلى بيروت، وكان حكم محمد علي في نظرهم حكماً علمانياً مدنياً.

## ٥ - The Royal Archives of Egypt and the Origins of Egyptian Expedition to Syria (1831-1841)

جمعها ونقلها إلى الإنجليزية أسد رستم ونشرتها الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٣٦، وهي وثائق مختارة من الأصول العربية ووثائق عابدين (السجلات والمحافظ) مترجمة إلى اللغة الإنجليزية، ومختارة بشكل يخدم سياق التسلسل التاريخي للأحداث. ومرتبطة ترتيباً زمنياً، وملحقة بفهرس يُعرّف بكل وثيقة تعريفاً سريعاً. والملاحظ أن أسد رستم استخدم هنا مصطلح الحملة المصرية Egyptian Expedition، الأمر الذي يصبغ الوجود المصري بطابع الاحتلال العسكري غير المرغوب فيه، بخلاف المصطلح المستخدم في الأصول العربية "تاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا" وهو يعطي للقارئ انطباعاً سورياً مرحباً بالوجود المصري.

وتتميز وثائق هذا المصدر بالبساطة وأعني أنها تقدم معلومة بسيطة وواضحة، وتغطي العديد من النواحي العسكرية والاقتصادية والدينية والسياسية، بشكل متسلسل بداية من تمهيد محمد علي لنفسه وتوطيد علاقته بعبد الله باشا حتى غدا الأخير أحد رجاله هناك<sup>(٨٠)</sup>

ولكن فكرة نقل الأصول العربية إلى اللغة الإنجليزية لا تخدم البحث العلمي كثيراً، ولا سيما إذا كانت لغة الأصل لغة عالمية، لأن الترجمة تفقد الباحث الإحساس بلغة المصطلح الإداري والاقتصادي والعسكري الخاص بفترة القرن التاسع عشر. والواضح أن نقل هذه الأصول إلى اللغة الإنجليزية تم برغبة من الجامعة الأمريكية

ببيروت بغرض تثقيفي وليس بحثي، إذ إن باحث هذه الحقبة لابد أن يتقن اللغة العربية والخطوط التي كتبت بها الوثائق. وهناك العديد من الباحثين الأجانب الذين تخصصوا في هذا المجال وقدموا دراسات متميزة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر هلين رفلين وكتابها . The Agricultural Policy of Mohamed Ali in Egypt

### ثالثاً : الوقائع المصرية

في آخر مايو ١٨٢٩ أصدر محمد علي أول صحيفة عربية تحمل اسم الوقائع المصرية، فكان رائداً في هذا المجال. وحاول السلطان محمود الثاني أن يقتفي أثره فأصدر بعد عامين أول جريدة تركية باسم " تقويم الوقائع " <sup>(٨١)</sup> وكان الجيش يصدر وقائع خاصة به تنتشر أخبار الجيش والجرائم التي تُرتكب وعقاب مرتكبيها، كانت توزع على ضباط الجيش مقابل اشتراك سنوي يخصم من الراتب. <sup>(٨٢)</sup> والمادة المتبقية من الأعداد الأولى من الوقائع متوفرة منها نسخة منقولة بخط اليد في محافظ تعرف بمحافظ الوقائع ، مصنفة تصنيفاً موضوعياً في [٢١] محفظة، والمحفظة رقم (٦) بها ملف خاص بكل ما ورد في أعداد الوقائع [المتاحة] عن بلاد الشام.

والمادة التاريخية التي تقدمها الوقائع عبارة عن تقارير عسكرية عن تحركات الجيش صادرة عن قيادته تسجل أنباء وتفاصيل تقدم الجيوش المصرية بقيادة إبراهيم باشا أولاً بأول؛ فعلى سبيل المثال في زحف الجيش نحو دمشق ورد في الوقائع " في يوم الجمعة العاشر من المحرم سنة ثمان وأربعين توجه المعسكر المظفر ... إلى جهة دمشق الشام إحدى جنات الدنيا ووصل في يوم الثلاثاء إلى قرية يقال لها القنيطرة، ونصب بها الخيام للراحة ... ثم وصل إلى دراية وهي قرية بينها وبين دمشق مسافة ساعة ونصف، وهناك رُتب عسكر ألياءات الفرسان والمشاة ... ولما كان الغد جاء نحو ثمانمائة فارس من المخالفين ووقفوا على الجانب الأيسر من القرية طلباً للحرب" <sup>(٨٣)</sup> وفي أعقاب الهجوم الذي أسفر عن فتح عكا جاء التقرير متضمناً عدد الجرحى والقتلى

من الأليات الثاني والثامن والعاشر؛ فبلغ عدد الجرحى ١٤٢٩ يتلف منهم أي يخرج من الخدمة ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ وتوفي ٥١٢ منهم ميرألي وسبعة من القادة بين بيكباشي وصاغ وبيوزباشي وخمسة عشر ضابطاً والباقي من الجنود.<sup>(٨٤)</sup>

ومشكلة الوقائع أن المتاح منها من ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م إلى ١٢٤٩/١٨٣٣ أما باقي الأعداد حتى عام ١٢٦٢/١٨٤٥م فمفقودة، الأمر الذي لا يتيح فرصة الاستفادة الكاملة من هذا المصدر الرسمي المعاصر للأحداث. وفكرة محافظ الوقائع فكرة جيدة لكنها نُفِّدَت متأخرة. وكان من الأفضل توفير صورة ورقية أو ميكروفيلمية للباحثين حفاظاً على المصدر وضماناً لعدم التحريف الناتج من أخطاء النسخ.

## رابعاً: المخطوطات والمذكرات والكتابات المعاصرة للأحداث

### ١ - الفتوحات الإبراهيمية في الأقطار الشامية مع ذكر ولاية مصر إلى هذا العصر

مخطوط لاسكندر أبكاريوس، موجود بالهيئة المصرية العامة للكتاب، قاعة المخطوطات تحت رقم ١٨٢٠ تاريخ طلعت، ومصورا على ميكروفيلم برقم ١٣٥٢٢، ولم يذكر المؤلف تاريخ كتابة المخطوط، ولكن يظهر من مادة المخطوط أنه كُتِبَ إبان حكم الخديوي توفيق (١٨٧٩ - ١٨٩٢) والمؤلف اسكندر بن يعقوب بن أبكار المعروف بأبكار يوس مسيحي أرمني توفي عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م، وعليه فالمخطوط وضع قبيل العام الأخير. يتميز المخطوط بأسلوب القرن التاسع عشر ولغته في الكتابة، من حيث الالتزام بالسجع والإفراط في المديح وتقسيم المخطوط إلى أبواب قصيرة، بلغت تسعة عشر باباً، اختصت فتوحات إبراهيم باشا في بلاد الشام منها اثني عشر باباً؛ من الباب الثالث إلى الرابع عشر.

أما المادة التاريخية في المخطوط فقد اهتم المؤلف بالأحداث العسكرية والانتصارات الحربية لإبراهيم باشا في بلاد الشام، وخصص باباً واحداً لتنظيمات

إبراهيم باشا الإدارية في الشام واتفاقه مع الأمير بشير الشهابي، ثم خصص باباً لتمرّد دروز حوران وإخماد ثورتهم.

والمخطوط لا يُعد تاريخاً بالمعنى المفهوم، ولا يمكن اعتباره شاهد عيان للأحداث، وإنما هو محاولة لتجميع الأحداث العسكرية والسياسية، شابها تفریط في كثير من الأحداث، فالمؤلف لم يتطرق لكثير من الحوادث السياسية، مثل ثورة فلسطين وثورة جبل لبنان ودور بريطانيا في إثارة التمرد، ناهيك عن جوانب التاريخ الأخرى. كما غلب عليه الإفراط في المديح وذكر مآثر الأسرة العلوية، ولا سيما مؤسسها وابنه إبراهيم باشا وزوجة الأخير، وازدان المخطوط بأبيات الشعر من مديح وثناء، ويبدو لي أنه أُعد ليقدم هدية للأسرة العلوية.

## ٢- بازيلى: سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية

ترجمة يسر جابر، ونشر في بيروت ١٩٨٨، ويستمد الكتاب أهميته من مؤلفه قسطنطين ميخائيلوفيتش بازيلى، قنصل روسيا في بيروت (١٨٣٩-١٨٥٣) وهو الدبلوماسي الوحيد الذي كتب في تاريخ المنطقة التي عمل فيها في تلك الفترة الحاسمة، وقد استقى بازيلى مادته من المخطوطات العربية وكتب الرحالة الغربيين الذين سبقوه، إضافة إلى استفادته من موقعه الدبلوماسي في الاتصال بأولي الأمر وصنّاع القرار وزملائه من قناصل الدول الأوروبية. وقد انتهى بازيلى من هذا الكتاب في أغسطس ١٨٤٧م.

ويتضح من الكتاب أن بازيلى كان دبلوماسياً ومؤرخاً ذا فكر عسكري واعٍ بكل الأمور داخل الدولة العثمانية وداخل المجتمع الشامي الأكثر تعقيداً. لم يقف عند حد الفترة التي خدم فيها في بلاد الشام، وإنما كتب عن المجتمع الشامي وتتبع تاريخ المنطقة، ولاسيما أمراء جبل لبنان منذ القرن السابع عشر، وركز على فترة الحكم المصري في الشام وموقف الدول الأوروبية منه، ولو أنه اقتصر على فترة وجوده في

بلاد الشام لغدا كتابه مذكرات في غاية الأهمية.

أما عن المادة التاريخية المستقاة من هذا المصدر فتشمل الأحداث العسكرية والمعاهدات، وتتبع عورات الحكم المصري في الشام فركز على التجنيد الإجباري ونزع السلاح والاحتكار وملاحقة الإقطاعيين واتهم سياسة التسامح الديني بأنها تستهدف استمالة هذه الطوائف. وانطلقت تفسيراته للأحداث من أساس حاقده على محمد علي فيرى أن الإدارة المدنية استقرت بشكل صوري في يد شريف باشا بينما تركزت السلطة الفعلية مدنية وعسكرية في يد إبراهيم باشا.<sup>(٨٥)</sup> وعن إصلاحات محمد علي وموقفه من القومية العربية يقول بازيلي: "تحددت إصلاحات محمد علي بالنسبة للشعب المصري بالمعادلة التالية بدلاً من سرقات المماليك الفجرة حلّ نهب منظم دوري صارم عن طريق الضرائب والاحتكارات، وبدلاً من صراعات المماليك الدامية التي كانت تطال الشعب حلت الحملات والمعارك الخارجية البعيدة التي سالت فيها دماء عربية ... وبقي محمد علي وفياً لأصله التركي لصيقاً به مبتعداً عن السكان الأصليين ... والقبائل العربية لم تتبن بعواطفها ضيفها لحاكم، وظلت ترى فيه باشاً تركياً لا باعناً للقومية العربية"<sup>(٨٦)</sup>

وينطلق بازيلي في كتابه هذا من أيديولوجية أرثوذكسية ومن موقف معادٍ لكل ما هو عثماني، فقد كان ولده يعيش في الأستانة وحُكم عليه بالإعدام لاشتراكه في حركة يونانية مناهضة للحكم التركي، واستشفع فيه السفير الروسي فخرج مع أسرته إلى روسيا. وينظر بازيلي إلى تجربة محمد علي باحتقار، فلا يرى فيه أكثر من باشا تركي مغتصب، فهو ينطلق من موقف شخصي ورؤية استشراقية روسية أكثر من كونها تاريخية.

### ٣- مذكرات تاريخية بقلم أحد كتاب الحكومة الدمشقيين

عني بنشرها والتعليق على حواشيها الخوري قسطنطين الباشا، نشرت في لبنان

١٩٢٦م. وهي في الأصل مخطوط محفوظ في متحف برلين، ومنه صورة في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت. وصاحب المذكرات غير معلوم، ولكن من المذكرات الأصلية تبين للمحقق أن كاتبها من كتّاب الحكومة في عهد محمد علي، ثم خدم في ديوان الإدارة العثمانية في دمشق، وينتمي إلى طائفة الروم الأرثوذكس. ولغة المذكرات أقرب إلى العامية. أما منهج الدراسة فقد أبقى الناشر على الأصل كما هو، ولم يتدخل إلا بتوضيح في الحاشية أو وضع عنوان جانبي بين قوسين، وهي طريقة تحافظ على النص وتقدمه للمتخصص، ولا تكلف الناشر عبئاً كبيراً.

أما المادة التاريخية التي يقدمها المصدر فتشمل الأوضاع في دمشق قبيل مجيء القوات المصرية، وخبر قدوم قوات إبراهيم باشا وأثره الأمني، ثم أحداث ثورتى فلسطين وحواران وبطش الحكومة بالثوار، ثم يتابع أهم الأحداث الاقتصادية والاجتماعية في ظل الحكومة المصرية. ويتميز هذا المصدر بكشف بعض الجوانب الخفية ففي أسباب الثورة في جبل لبنان وإخمادها على سبيل المثال يقول: "أرسل محمد علي أمراً إلى الأمير بشير أن يجمع سلاح الجبل، بعد ما كان في السابق أنعم عليهم بستة عشر ألف بارودة أنها تكون مؤيدة لهم، فحالاً أرسل الأمير بشير حوالات (جنود) إلى كل ضيع الجبل في لَمّ السلاح ... وصار الحرب بين أهالي الجبل والحكم وراح (مات) عالم كثير من العساكر وقليل من أهالي الجبل، واستقامت المادة أربعين يوماً. وصار الأمير بشير يرسل يبرطل الناس لأجل يفختوا (يفسدوا) بعضهم وصار حسب مرغويه ... وصار يمسك المشايخ نصارى ودروز أصحاب الحركة حتى مسك من الجبل خمسة وتسعين زلماً ... وأرسلهم إلى مصر ومحمد علي أرسلهم إلى سسنا" (٨٧)

تأتي أهمية هذه المذكرات من معاصرتها للأحداث، فهي عين راصدة شاركت في الأحداث؛ إذ يُفهم من الأحداث أنه أوكل إليه مهمة التحقيق في حادثة مقتل المرسل الإيطالي البادري توما على يد اليهود، وبمقارنة الوارد في هذا المصدر (٨٨) مع الوثيقة الموجودة بدار الوثائق (٨٩) يجد أن هذا المصدر ينفرد بتفاصيل التحريات ويختصر

تفاصيل التحقيقات، ولم يتطرق لاستعمال اليهود للدم؛ بما يشير إلى أن للكاتب علاقة بالأحداث. ولا شك أن غياب اسم المؤلف يقلل من القيمة التاريخية للمصدر، وقد يرجع ذلك إلى خوف المؤلف من بطش السلطة التركية أو الخوف من انتقام اليهود، فهو المصدر الوحيد المعاصر الذي ذكر مثل هذه التفاصيل عن مقتل البادري توما.

#### ٤- حروب إبراهيم باشا المصري في سوريا والأناضول

لمؤرخ مجهول، علق على حواشيها ووضع فهرسها أسد رستم، وعني بنشرها وأحفظها ببعض وثائق الخوري بولس قرآلي، ونشرتها المطبعة السورية بالقاهرة ١٩٢٧. وهي في الأصل مخطوطة صغيرة عبارة عن يوميات وجدت في مكتبة البطريركية المارونية في بكركي بلبنان، اكتشفها الخوري بولس عام ١٩٢٥ بين أوراق البطريرك بولس مسعد، وعهد بها إلى أسد رستم لدراستها والتعليق عليها. عرّفها صاحبها بأنها مجموعة تواريخ. وعنوانها الأصلي " خبر تملك إبراهيم باشا بلاد عرب استان وقطعة من تورك استان لحد كوك بوعازي" استدل أسد رستم من نوع الورق والخط والحوادث والألفاظ المستخدمة على أن صاحبها سجل أحداثها وقت وقوعها، وأن صاحبها لبناني مسيحي ورجح أن يكون هو القس أنطون الحلبي، الذي عمل في ديوان الأمير بشير الكبير لتطابق جزء كبير من المخطوط مع كتاباته في الخط والأسلوب. واستخدم أسد رستم أسلوبه المعتاد في الدراسة والتعليق فلم يتدخل في النص.

أما عن المادة التاريخية التي يمكن استخلاصها من المخطوط فقد أورد كثيراً من الأحداث، بعضها يقدم تفسيراً للغامض من حوادث الشام، فعلى سبيل المثال يقول في دخول إبراهيم باشا حلب سلمياً: إن الإنكشارية الحلبيين توجسوا خيفة من حسين باشا الذي قضى على أوجاقهم عام ١٨٢٦، واستأنوا إبراهيم باشا الذي واثقهم على الأمان ووعدهم بإرجاع أوجاقهم وسائر امتيازاتهم القديمة<sup>(٩٠)</sup> وفي أحداث ثورة فلسطين يقول "في محرم حضر إبراهيم باشا من القدس إلى يافا وطلب من نابلس والخليل شباب ليدخلوا في عسكر النظام فأبوا عن ذلك وأظهروا العصاه، فتحرك بالغضب عليهم وأمر

بجمع العساكر المتفرقة في المدن، لأن أكثر عساكره كانت رجعت إلى مصر ...  
وحيئنذ ابتدوا أهالي جبل نابلس يربطوا الطرقات من أبواب عكا إلى القدس. وأما  
إبراهيم باشا تحصن في يافا في دير الإفرنج لقلعة العساكر، وكان سليم باشا أمير اللواء  
هناك، فأرسل أعلم محمد علي إن ولده تغلب وأنه تحت الحصار لقلعة العساكر<sup>(٩١)</sup>

والمخطوط موضوع الدراسة بالأحرى مذكرات يومية لثلاثة أفراد عاشوا الأحداث  
وليس لشخص واحد بدليل أن أحدهما كان يستخدم التاريخ الهجري والثاني استخدم  
التاريخ المسيحي، وكذلك تكرار بعض الأحداث وتضارب تواريخها، وهو أمر لاحظته  
أسد رستم. أما الوثائق الملحقة بالكتاب فمأخوذة في معظمها من كتافكو المشار إليه  
ضمن الوثائق المنشورة، أي أنها تكرر لما نشر من قبل. وإذا كان عدم معرفة المؤلف  
يقلل من قيمة المصدر، فإن نشر مثل هذا المخطوط المهمل يدل على وعي ثقافي  
لناشريه، إذ يقدم زوايا رؤية جديدة للأحداث.

## ٥ - مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان

جمع حوادثه ميخائيل مشاقفة، وعني بنشره ملحم عبدو وأندراوس حنا شخاتيري، وطبع  
بمصر عام ١٩٠٨م. نشأ مشاقفة في لبنان والتزم بالكتابة عن حوادث الفترة التي عاشها  
[١٧٩٩ - ١٨٧٣] وعلى ذلك فقد عايش الحكم المصري للشام وهو شاب في الثلاثينيات  
من عمره وكتب عنه، كما اهتم بتدوين تاريخ عائلته في الفترة المذكورة، وخلف  
مخطوطاً تضمن حوادث الفترة المذكورة. لكن الناشرين قاما بإضافة خلفية تاريخية عن  
لبنان منذ بداية العصور التاريخية، وجغرافية لبنان وأصل قبائله.

أما المادة التاريخية التي نستقيها من هذا المصدر، فإنه يقدم مادة غزيرة عن فترة  
الحكم المصري في هيئة فصول صغيرة متتالية بداية من الفصل [٩٤] عن تصلف عبد  
الله باشا ورفضه إعادة الفلاحين الفارين من مصر هرباً من التجنيد، غير مبالٍ  
بتهديدات محمد علي. وانتهاءً بالفصل [١٢٠] في مآثر الحكومة المصرية. مروراً بكل  
الحوادث السياسية من دخول القوات المصرية مدن الشام إلى الثورات، ومن المآثر التي

ذكرها إصلاح المستنقعات التي كانت مجمع الأقدار الباعثة على تفشي الأمراض، وذلك على نفقة الحكومة، ولم تقبل مساعدة الأهالي في ذلك، وكذلك الحد من أسعار اللحوم، فكونت لجنة للإشراف على الذبح والبيع. إضافة إلى العدل والمساواة بين طبقات الشعب على اختلاف عقائده.<sup>(٩٢)</sup>

ولا شك أن التدخل عند النشر بتصحيح لغة المؤلف وبإضافة عدة فصول في بداية الكتاب، ظناً أنه تصحيح لخطأ أو إكمال لنقص<sup>(٩٣)</sup> أفقد الكتاب أهميته التاريخية من حيث الشكل، فخرج من كونه مصدراً لحقبة تاريخية محددة إلى كتاب عام عن تاريخ لبنان قد يستفيد منه القارئ العادي، والأفضل لو نشر كما هو بلفظه بعنوانه المذكور أعلاه، ولا يتعدى التدخل توضيح الغامض وإصلاح ما يُعتقد أنه خطأ في الحاشية، وغير خافٍ أن نشر الإضافة محاولة لإثبات انفصالية لبنان وخصوصيته، وهي نزعة حرص عليها المثقفون من مسيحي جبل لبنان بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ممن تربوا في مدارس الإرساليات، ثم عمقها الانتداب الفرنسي بعد ذلك.

٦- تاريخ حوادث الشام ولبنان أو تاريخ ميخائيل الدمشقي (١١٩٢-١٢٥٧هـ/ ١٧٨٢-١٨٤١م)

لمؤلف مجهول، تحقيق وتقديم أحمد غسان سبانو، ونشرته دار قتيبية في طبعة ثانية ١٩٨٢، أما الطبعة الأولى فكانت في بيروت ١٩١٢ نشره الأب لويس معلوف اليسوعي. والكتاب في أصله مخطوط لرجل عاصر الأحداث، أكد المحققون أنه أحد كتاب الحكومة (العثمانية) في دمشق، أطلق على نفسه "ميخائيل الدمشقي" لم يُعثر له على ترجمة، وهو في الغالب اسم مستعار يدل الشق الأول منه على ملته (مسيحي كاثوليكي) والشق الثاني على مكان الإقامة، والمخطوط سلمه المؤلف للسلطات البريطانية، التي أودعته المتحف البريطاني باعتباره وثيقة تاريخية. وقد يرجع عدم ذكر المؤلف لاسمه إلى خوفه من بطش رجال السلطة، فقد ذكر عيوبهم بكل صراحة، أو

من انتقام العائلات الكبرى التي ذكر مخالفتها بكل تفصيل.

أما المادة التاريخية التي يقدمها هذا المصدر فتخص في معظمها الأوضاع قبل الحكم المصري، أما ما يقدمه عن الحكم المصري فكلام عام مقتضب في صفحات معدودة، ولم يركز إلا على نشاط الإنجليز ضد الوجود المصري في عام ١٨٤٠.

والمنهج الذي اتبعه غسان سبانو لا يرقى إلى مستوى التحقيق إنما هو محاولة لإعادة النشر، فالتحقيق يحتاج إلى مؤرخ لا إلى محامٍ، فمعظم الصفحات والأحداث مرت دون تحقيق أو تعليق. واستخدام صاحب المخطوط اسماً مستعاراً يقلل من مكانة المصدر، لكنه في المقابل تكلم بحرية عن أنظمة الحكم والحكام. والهامش التفصيلي في نهاية الكتاب يساعد على الوصول إلى الموضوعات.

## حاشية الدراسة

(١) يطلق اسم بلاد الشام على المنطقة الممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى حدود مصر في سيناء وبادية العرب جنوباً ومن العراق شرقاً حتى سواحل البحر المتوسط غرباً، وسميت الشام على الأرجح لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت بالشامات، أما إطلاق الشام على دمشق فمن باب إطلاق العام على الخاص. راجع محمد كرد علي،

**خط الشام**، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩، ج١، ص ص ٨- ١٠

(٢) وهو خط سري ابتكره الكُتّاب الأتراك، وأدخله إلى الإدارة المالية في مصر في القرن السابع عشر، والقيمة كلمة تركية تعني التثنية والتكسير، ويمكن أن تكتب به معلومات كثيرة في حيز ضيق، وظل يستخدم في سجلات المالية في مصر حتى ألغاه محمد علي عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م وحل محله الكتابة بالخط العربي. ليلي عبد الوهاب، دراسات في

**تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني**، القاهرة ١٩٨٠، ص ص ٤٧، ٤٨

(٣) تُرجمت هذه الوثائق في فترتي حكم الملك فؤاد والملك فاروق، حسبما تشير التواريخ المدونة أسفل بعض الوثائق.

(٤) عدد هذه المحافظ ٥٩ محفظة، تغطي الفترة من غرة صفر ١٢٤٧هـ - ٢٥ شعبان ١٢٦٠هـ، وتضم حوالي ١٠,٤٥٧ وثيقة

(٥) راجع على سبيل المثال محفظة ٦٦ أبحاث (٢ الشام) ملف شوال ١٢٤٧هـ، صورة الوثيقة العربية رقم ١١٩، من جرنال وقائع المصلحة بطرف كاتبه حنا بحري، ١٦ شوال ١٢٤

(٦) محفظة ٦٦ أبحاث (٢ الشام) ملف رمضان ١٢٤٧هـ، ملحق الوثيقة رقم ٤٧، تقرير عن حوادث الجيش المصري، ١٩ رمضان ١٢٤٧هـ

(٧) محفظة ٨١ أبحاث (١٧ الشام) وثيقة رقم ٢٦، من محمد شريف باشا إلى حسين باشا، كشفاً إجمالياً بإيالات بر الشام، سلخ محرم ١٢٥٥

(٨) عبد اللطيف الصباغ، جهود محمد علي التدينية بالشام إبان الحكم المصري (١٨٣١-١٨٤٠) دراسة وثائقية، في رعوف عباس، إصلاح أم تحديث؟ مصر في عصر محمد علي، ندوة الجمعية التاريخية بمناسبة مرور ١٥٠ عاماً على رحيل محمد علي باشا الكبير

(٩) لطيفة سالم، **الحكم المصري في الشام (١٨٣١-١٨٤١)** القاهرة ١٩٨٣، ص ٢٠

(١٠) وردة هكذا في النص والصحيح (يتوارثونها)

- (١١) محفظة ٦٥ أبحاث (١ الشام) ملف شعبان ١٢٤٧هـ، ترجمة وثيقة ضمن تقرير مقدم من ولي النعم عن ستة أيام من ٢٩ رجب - ٥ شعبان ١٢٤٧هـ.
- (١٢) محفظة ٦٧ أبحاث (٣ الشام) ملف ذو القعدة ١٢٤٧هـ، صورة الوثيقة العربية رقم ١٠٦، ١٣ ذو القعدة ١٢٤٧هـ.
- (١٣) محفظة ٧٩ أبحاث (١٥ الشام) ملف محرم - ربيع آخر ١٢٥٣هـ، وثيقة رقم ٤١، من إبراهيم باشا إلى سامي بك، ٢٣ محرم ١٢٥٣هـ.
- (١٤) محفظة ٧٤ أبحاث (١٠ الشام) ترجمة الوثيقة رقم ١٧٤، من إبراهيم باشا إلى الجناب العالي، ربيع أول ١٢٤٩هـ.
- (١٥) محمد كرد علي، مرجع سابق، ج٣، ص ٦٨.
- (١٦) ومنها على سبيل المثال: لطيفة سالم، مرجع سابق، وأحمد فريد مصطفى، توسع مصر في الشام وأثره على موقف الدول من المسألة السياسية في عصر محمد علي (١٨٣١-١٨٤١) رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، وعبد الكريم غرابية، سوريا في القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية، ١٩٦٢.
- (١٧) محفظة ٩٠ أبحاث (٢٦ الشام) ترجمة مكاتبات، ملف حياة إبراهيم باشا، ترجمة الوثيقة رقم ١١/٣٧ إبراهيم باشا إلى والده محمد علي باشا، ٨ رجب ١٢٤٨هـ.
- (١٨) مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، جمع حوادثه ميخائيل مشاققة، ونشره ملحم خليل وعبدو أندراوس، ص ١٢١.
- (١٩) محفظة ٩٠ أبحاث (٢٦ الشام) ترجمة مكاتبات باللغة التركية، ملف اليهود، صورة الوثيقة رقم ٢٩/٣-٢٩، ذو الحجة ١٢٥٥هـ.
- (٢٠) دفتر ٩ معية تركي، وثيقة ٦٩٩ مترجمة، من المعية السنية إلى ناظر دمياط، ٢٧ ذو القعدة ١٢٣٧.
- (٢١) دفتر ٤٠ معية تركي، وثيقة ٧٦٦ مترجمة، من الجناب العالي إلى الأمير بشير، ٢٩ جماد الثاني ١٢٤٧هـ.
- (٢٢) المصدر نفسه، وثيقة ٧٩٨ مترجمة، من الجناب العالي إلى الأمير بشير، ٤ شوال ١٢٤٧.
- (٢٣) دفتر ٤٤ معية تركي، وثيقة ٢٥٣ مترجمة، من الجناب العالي إلى أحمد باشا مدير الأقاليم الوسطى، ١٧ ربيع أول ١٢٤٨هـ.
- (٢٤) المصدر نفسه، وثيقة ٤١١ مترجمة، من الجناب العالي إلى ناظر الجهادية، ٢١ ربيع ثان ١٢٤٨.

- (٢٥) ترجع معظم هذه الملخصات العربية إلى عام ١٩٥٠ حسبما هو مدون عليها
- (٢٦) محفظة امعية سنوية عرضحالات، ملف ١، من أحد رجال المعية إلى المعلم فرح باشكاتب الخزينة الملكية، ١٨ ذو القعدة ١٢٦٤هـ
- (٢٧) محفظة ٣ ملخصات عابدين ، دفتر ٥ صادر عابدين، ملخص الوثيقة التركية رقم ٨، ٣ شوال ١٢٤٩هـ
- (٢٨) محفظة ٣ ملخصات عابدين، دفتر ٦ صادر عابدين، تلخيص المكاتب التركية رقم ١٨١، ٥ جماد أول ١٢٥٥هـ
- (٢٩) محفظة ٣٦ ملخصات دفاتر عابدين، دفتر رقم ٢١١ صادر عابدين، ترجمة الأمر العالي رقم ٥ من الباب العالي إلى نجله السر عسكر، ٥ رجب ١٢٤٩هـ
- (٣٠) الصدر نفسه، رسالة من الجناب العالي إلى الباشا السر عسكر، ٤ ذو القعدة ١٢٤٩هـ
- (٣١) دفتر ١٠ عابدين تركي، وثيقة رقم ٧٠٩ مترجمة، أمر عالي إلى السر عسكر باشا، سلخ جمادى الثانية ١٢٤٩هـ
- (٣٢) محفظة ٦٢ ديوان خديوي، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٨٩، وثيقة ٢٢٣، من شورى الجهادية إلى ديوان الجهادية، ١٨ رجب ١٢٥١هـ
- (٣٣) المصدر نفسه، وثيقة ٨٦، ترجمة قرار مجلس شورى الجهادية، ٢٣ شعبان ١٢٥٠هـ
- (٣٤) دفتر ٧٩٧ ديوان خديوي، وثيقة ١٥٤ عربية، من المجلس العالي إلى ديوان الخديوي، ٢٢ ذو القعدة ١٢٤٩هـ
- (٣٥) وديوان الروزنامة هو أحد أجهزة النظام المالي، أدخله العثمانيون ف مصر بموجب قانون نامة مصر عام ١٥٢٥، ويختص بجمع الإيرادات والإشراف على المصروفات، والكلمة فارسية من شقين (روز) وتعني يومية و(نامة) وتعني دفتر والكلمة بشقيها تعني الحساب اليومي. ليلي عبد اللطيف، مرجع سابق، ص ٢٠
- (٣٦) هذا السجل به مادة تخص عام ١٢٥٠هـ إضافة إلى عام ١٢٤٩
- (٣٧) سجلات الروزنامة، مجموعة متفرقات، دفتر التزامات در إيالات شام شريف وصيدا وحب الشهبأ وأدنه واجب سنة ١٢٤٨هـ و ١٢٤٩هـ تحت رقم ٢٢٥٩، برقم الحفظ النوعي ١٩٢٣، ٢٦ع، مخزن تركي ١، مسلسل عمومي ١٩٢٣

(٣٨) المصدر نفسه، دفتر بيان إيرادات المقاطعات والالتزامات نواحي مصر وولايات الشام وغيرها المرتبة إلى الخزينة العامرة سنة ١٢٤٩هـ، تحت رقم ٢٢٦١، برقم الحفظ النوعي ١٠٤٦، عين ٤٢، مخزن تركي ١، مسلسل عمومي ٣١٥١

(٣٩) محفظة ١٠ بحر برا، وثيقة رقم ١٢٠، عبد الله باشا والي صيد وبيروت إلى محمد علي باشا، ٩ ذو القعدة ١٢٤١هـ

(٤٠) محفظة ١٨ بحر برا، وثيقة رقم ١٨، من محمد رفعت قاضي الشام إلى المعية، ١٧ رمضان ١٢٥٠

(٤١) محفظة ١٧ بحر برا، وثيقة ٤٩، من وكيل محافظة مكة إلى الجناب العالي، ١٧ صفر ١٢٤٨هـ

(٤٢) دفتر ١٣٩ مجلس ملكية تركي، وثيقة ٥٩٦، من الجناب العالي إلى بوغوص بك، ٢٥ رجب ١٢٥١

(٤٣) المصدر نفسه، وثيقة رقم ٧٦٧، من الجناب العالي إلى بوغوص بك، ٢٣ شعبان ١٢٥١هـ

(٤٤) محفظة ٣ ذوات تركي، وثيقة ٦٥، من الجناب العالي إلى حكمدار بر الشام، ١٠ ذو القعدة ١٢٤٩

(٤٥) المصدر نفسه، وثيقة ١٦٨ مترجمة، من الجناب العالي إلى ...، ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٦

(٤٦) الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد علي باشا ثم من ولده العزيز إبراهيم، مكاتبة منه إلى الصدارة العظمى، ٥ شعبان ١٢٢٥هـ

(٤٧) المصدر نفسه، مكاتبة منه إلى عبد الله باشا والي صيدا، ٧ شعبان ١٢٣٨هـ

(٤٨) المصدر نفسه، أمر منه إلى كتحدا بك مصر، ٢٢ محرم ١٢٤٨هـ

(٤٩) المصدر نفسه، أمر منه إلى رئيس ديوان الخديوي، ١٦ صفر ١٢٥٠هـ

(٥٠) أرشيف وزارة الخارجية البريطانية، محفظة ٤، ملف ٢،

FO.27/463No.30 Granville to Palmerston, 21Jan.1833

(٥١) المصدر نفسه، ملف ٣، ٥٦٢ No.207 Granville to Palmerston, Jan.1838

FO.27/463

(٥٢) المصدر نفسه، ملف ٣، ٥٦٤ 463 No.262 Granville to Palmerston, 21Sep.1838

FO.27/

(٥٣) الأرشيف الفرنسي، محفظة ٨، وثيقة ١١،

Boonville au Le Minster, Aleppo, 24 Mars 1836

(٥٤) الأرشيف الأمريكي، محفظة ١، ملف ١، Consular Agent of USA at Alex. to the

Dept. of stat, Washington, 28 Aug. 1835, Vol. I, pp. 7-9

(٥٥) المصدر نفسه، J. Glidden US Consulate, Alex. To J. Forney the sec. of stat, Washington, 30sep. 1835, Vol. I, pp. 10,11

(٥٦) وقد اطلعت على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر، سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، دراسة وتحقيق حسان حلاق، ونشر ببيروت ١٩٨٧، وكنت شغوفاً أن أجد به مادة وثائقية تخص فترة الحكم المصري، غير أنني لم أجد فيه شيئاً، فأول سجلات عثر عليها تخص عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م.

(٥٧) الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا [ الأوراق السياسية ] جمعها وضبط قراعتها د. أسد رستم، مج ١، وثيقة رقم ٣٣، مرسوم إبراهيم باشا إلى أعيان القدس، سجل المحكمة الشرعية بالقدس ص ٨٣، ٨٤

(٥٨) المصدر نفسه، مج ٢، وثيقة رقم ١٦٢، أحمد أغا النمر إلى ولده عبد الفتاح، ٢٧ رجب ١٢٥٠هـ، ص ص ١٦٧-١٧٠

(٥٩) المصدر نفسه، مج ١، وثيقة رقم ٣٦، ص ص ٨٧، ٨٨

(٦٠) المصدر نفسه، مج ٥، وثيقة رقم ٥٧٨، ص ص ١٨٦، ١٨٧

(٦١) المصدر نفسه، مج ٥، وثيقة رقم ٥٨٩، شروط الموارنة للسلطان العثماني، ٢٩ أكتوبر ١٨٤٠، ص ص ٣٠٨-٣١١

(٦٢) المصدر نفسه، مج ١، ص ص ٤-٦

(٦٣) هي أصل دار الوثائق المصرية أسسها لملك أحمد فؤاد عام ١٩٢٦ ونقل إليها معظم وثائق الأسرة العلوية من الدفترخانة وأياً كان الهدف من إنشائها فهي عمل علمي حضاري لا يستطيع أن تنكره أحد

(٦٤) نعتقد أن السلطات الأمريكية توسطت إصدار هذا التصريح، فلم يكن أسد رستم بعيداً عن السلطات الأمريكية، فقد عمل مستشاراً شرقياً في المفوضية الأمريكية ببيروت بعد ذلك بقليل

(٦٥) فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا " نقلاً عن تقارير أنطون كتافاكو متصل النمسا في عكا وصيدا " (١٨٣١-١٨٤١) عربيها وعلق عليها الخوري بولس قرألي، مطبعة العلم بلبنان (١٩٣٧) ص ص ٤٠-٤٢

(٦٦) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان (١٨٤٠-١٩١٠) جمع وتعريب فيليب وفريد الخازن، ط ٢ لبنان ١٩٨٣، مذكرة مسيو جيزو إلى اللورد

بالمريستون، ٢٢ يوليو ١٨٤٠، ص ١٧، ١٨

(٦٧) وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث [ ١٥١٧ - ١٩٢٠ ] جمعها وعلق عليها د. عبد

العزیز سليمان نوار، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٤، وثيقة رقم ٧٧، ص ٢٩٢ - ٣٠٠

(٦٨) المصدر نفسه، وثيقة رقم ٧١، ص ٢٧٩ - ٢٨٠

(٦٩) دفتر ٤٠ معية تركي، وثيقة ٧٦٦، من الجناح العالي إلى الأمير بشير، ٢٩ جماد

الثاني ١٢٤٧

(٧٠) وثيقة الدردار وقضية البراق، تحليل أسد رستم، المطبعة الأمريكية ببيروت ١٩٣٠، ص ١١، ١٢

(٧١) عادل غنيم وجمال حجر، في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩، ص ٥٢ -

٥٥

(٧٢) نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر، جمعها وقدم لها محمد فؤاد شكري

ومحمد أنيس والسيد رجب حراز، الأنجلو المصرية ١٩١٠م، تقرير بورنج، ص ١٨٨

(٧٣) Georges Douin, La Mission de Baron de Boilecomte, L' Égypte et Le Syrie en

1833, Society Royal de Geographie d'Égypte, 1927, Le Baron de Boilecomte au  
Ministre 10 Aout 1833

(٧٤) محمد كرد علي، مرجع سابق، ج٣، ص ٦٩

(٧٥) Le Conflit Turco – Égyptien (1838-1841) et le dernières années du Règne

de Mohamed Aly D'après les Documents Diplomatiques Grecs, Doc. No 6, Dimitriou a  
Tossizza, Tripoli, 30mars1838, p.5

Ibid, Doc. No. 11, Ivos au Ministere, Alex. 14/26 Avril1838, Annexe II, pp.12,13 (٧٦)

Cattai Renè, LE REGN DE MOHAMED ALY, d' après Les Archives Russes en Égypte, (٧٧)

Tome II, Doc. N. 162, pp. 501-507

Ibid, Tom III, Doc. N. 229, pp. 454-456 (٧٨)

Missionary Herald, March 1836 Extracts from a letter of Mr. Bird, 3ed July, (٧٩)

M. H. Reports from Ottoman Syria (1819-1870) Ed. By K. Saliby & Y., 1835  
Khoury, Amman 1995, vol. III, pp.12-18

Asad Rustum, The Royal Archives of Egypt and The Origins of Egyptian (٨٠)

Expedition to Syria (1831-1841) American Press, Beirut 1936, p.20

Stanford & Ezal Shaw, **History of the Ottoman Empire and modern Turkey** (٨١)  
Shaw

Vol. II, London 1978, p. 35

- (٨٢) محفظة ٦٢ ديوان خديويي، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٨٩، وثيقة ١٣/٤٣ قرار مجلس شوري  
الجهادية بإرسال الوقائع الواردة من ديوان الجهادية إلى الجيش المنصور، ١٨ محرم ١٢٥٠
- (٨٣) الوقائع المصرية، عدد ٣٩٩، ٣ صفر الخير ١٢٤٨، ص ٤٥
- (٨٤) المصدر نفسه، عدد ٣٩١، ١١ من المحرم الحرام ١٢٤٨هـ، ص ١٥
- (٨٥) بازيلي، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية،  
ترجمة يسر جابر، مراجعة منذر جابر، بيروت ١٩٨٨، ص ١٧٩
- (٨٦) المرجع نفسه، ص ١٧٧
- (٨٧) مذكرات تاريخية بقلم أحد كتاب الحكومة الدمشقيين، عني بنشرها وتعليق حواشيها الخوري  
قسطنطين الباشا، لبنان ١٩٢٦م، ص ٢٠٥، ٢٠٦
- (٨٨) المصدر نفسه، ص ١٨٦ - ٢٠٢
- (٨٩) محفظة ٩٠ أبحاث (٢٦ الشام) ترجمة مكاتبات باللغة التركية، ملف اليهود، صورة  
الوثيقة رقم ٨٧/٢٩-٣، ذو الحجة ١٢٥٥هـ
- (٩٠) حروب إبراهيم باشا المصري في سوريا والأناضول لمؤرخ مجهول، علق على حواشيها ووضع  
فهارسها أسد رستم، وعني بنشرها وألحقها ببعض وثائق الخوري بولس قرآلي، ونشرتها  
المطبعة السورية بالقاهرة ١٩٢٧، ص ٩
- (٩١) المصدر نفسه، ص ٣٩، وردت كلمات خطأ في النص منها (شباب) والصواب شباباً،  
و(يرطوا) وصوابها يريطون
- (٩٢) مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، جمع حوادثه ميخائيل مشاققة، وعني بنشره ملحم عبدو  
وأندراوس حنا شخاتيري، بمصر ١٩٠٨م. ص ١٢٥
- (٩٣) قال الناشران في مقدمتهما "وعذرنا في إنزالنا أنفسنا منزلة المؤلف هو كتابتنا الكتاب من  
بدايته إلى نهايته لأن عبارة المؤلف غير صحيحة، وجملة الكتاب غير وافية للنشر، وقد  
أضفنا إلى حوادثه فذلكت تاريخ لبنان" المرجع نفسه، ص ٣

---

يمكن استخلاص خاتمة من هذا الملخص عند النشر

اختلفت الآراء حول تجربة محمد عليّ، فمنهم من اعتبرها مشروعاً نهضوياً أعاد لمصر دورها الرياديّ في المنطقة، ومنهم من رآها مشروعاً توسعياً استنزف ثروات البلاد لتحقيق مآرب شخصية. ولكن لا يختلف اثنان على أن فترة حكم محمد عليّ كانت من أزهى عصور مصر من حيث تسجيل الأحداث وغازة المادة الأرشيفية، لذا تركزت المصادر الأصلية للحكم المصريّ في الشام بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

وإن تركزت وثائق هذا الموضوع في أرشيف عابدين، لكن تشعب جزء منها في

سبع وحداتٍ أرشيفيةٍ أخرى، أهمُّها: ديوانُ المعيةِ السنيةِ، وسجلاتُ ديوانِ الخديوي، وسجلاتُ الروزنامةِ، ومحافظةُ بحرِ برا. وكثيرٌ من هذه الوثائقِ باللغةِ التركية. غيرَ أنَّ حركةَ الترجمةِ التي شملت هذه الوحداتِ الأرشيفيةَ في عهدِ الملكين: فؤادٍ وفاروقٍ أفرزت مصدراً شاملاً جديداً باللغةِ العربيةِ هو **محافظةُ الأبحاثِ**، والذي خصَّصَ للحكمِ المصريِّ في الشامِ سبعاً وعشرينَ محفظةً. إضافةً إلى محافظٍ ملخصاتِ الدفاتر. وهناك تصنيفٌ موضوعيٌّ آخرٌ للوثائقِ تمثلُ في **الأوامرِ والمكاتباتِ الصادرةِ من عزيزِ مصر محمد علي باشا ثم من ابنه العزيز إبراهيم جُمعت مادتهُ من كافةِ الأرشيفاتِ.**

وأياً ما كانت دوافعُ حركةِ الترجمةِ فقد قدمت للباحثينَ خدماتٍ جليلاً منها، فيما يتعلقُ بموضوعنا:

أولاً: تجميعُ معظمِ مصادرِ الحكمِ المصريِّ في الشَّامِ من أرشيفاتٍ عدةٍ في أرشيفِ واحدٍ بما يوفر الوقتَ والجهدَ، فكان على الباحثِ أن يُنقَبَ عن مادتهِ وَسَطَ بحرٍ خضمُّ من وثائقِ هذه الأرشيفاتِ.

ثانياً: توفيرُ المصادرِ باللغةِ العربيةِ

ثالثاً: أشارت معظمُ الترجماتِ إلى الوثيقةِ الأصليةِ بما يتيحُ للباحثِ إمكانيةَ الرجوعِ إليها.

أما الوثائقُ الأجنبيةُّ غيرُ المنشورةِ فتمثلت في الأرشيفِ الأوربيِّ المحفوظِ في دارِ الوثائقِ القوميةِ أيضاً، ويضمُّ ثلاثَ وحداتٍ هي: أرشيفُ وزارةِ الخارجيةِ البريطانيةِ FO والأرشيفُ الفرنسيُّ والأرشيفُ الأمريكيُّ. وهي مادةٌ وثائقيةٌ مجموعةٌ من الأرشيفاتِ الثلاثةِ عن مراسلاتِ قناصلِ هذه الدولِ وتقاريرهم. وتقدمُ مادةٌ تاريخيةٌ لموقفِ الدولِ الأوربيةِ من الحكمِ المصريِّ في الشَّامِ ودورِ القناصلِ في المراقبةِ وإثارةِ الفتنِ، فكلُّ منهم يكشفُ دورَ الآخرِ. ومن مشكلاتِ هذا الأرشيفِ:

أولاً: أن وثائقه مختارة ولا تضم كل المراسلات والتقارير.

ثانياً: أن بعضها منسوخ بالقلم الرصاص والبعض نسخة كربونية على ورقٍ شفافٍ متهاكٍ.

ثالثاً: يفتقد معظمها إلى الفهرسة والترتيب.

وبالنسبة للوثائق المنشورة فهي استكمالاً للمتاح من الوثائق غير المنشورة، وتليها في الأهمية. وقد تمكنت من جمع سبعة مصادر باللغة العربية ودراستها، أهمها: مجموعتي أسد رستم "الأصول العربية"، و "المحفوظات الملكية المصرية"، وترجمة لتقارير أنطوان كتافكو" قنصل النمسا في عكا، وأهمها على الإطلاق "الأصول العربية" لاستنثارها بنشر أوراق شخصية وبعض وثائق من الأديرة ومن سجلات المحاكم الشرعية، فهي تقدم رؤية أهالي بلاد الشام، وكلها ليست محفوظة بأي من دور الوثائق.

أما الوثائق الأجنبية المنشورة فعددها خمسة مصادر، يأتي في مقدمتها: الأرشيف الروسي بالقاهرة والذي نشره رينيه قطاوي، وأوراق الدبلوماسية اليونانية عن الصراع المصري التركي [١٨٣٨-١٨٤١]، وكلها تستكمل رؤية قناصل الدول الأجنبية. وأهم ما يلاحظ في الوثائق المنشورة [عربية وأجنبية]:

أولاً: دور الجامعة الأمريكية في بيروت في نشر الوعي الثقافي لدى مسيحي لبنان، وهي وإن كانت ثقافة موجهة بداتها فرنسا، إلا أنها أفرزت عقلية مثل عقلية أسد رستم الذي نشر في هذا الموضوع ثلاث مجموعات وثائقية إحداها باللغة الإنجليزية، بخلاف تحقيق وثيقة الدردار

ثانياً: أن للمدرسة الفرنسية باعاً كبيراً في الوعي بأهمية نشر الوثائق الخاصة بالمناطق الواقعة في دائرة اهتمامها. ولا شك أن نشر الأرشيفين الروسي واليوناني باللغة

الفرنسية سهل مهمة الباحثين في الاستفادة منهما.

ثالثاً: كان للجمعية الجغرافية المصرية بالتعاون مع المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة دور كبير في نشر مجموعات الوثائق الفرنسية في إصدارات خاصة، وفي المقابل غياب شبه تام للجمعية التاريخية المصرية.

وتعدّ جريدة **الوقائع المصرية** أول إصدار صحفي عربي، وقد تابعت تقدم الجيش في بلاد الشام وآسيا الصغرى. ولكن مشكلة الوقائع في النصف الأول من القرن التاسع عشر أن معظم أعدادها مفقودة، والمتاح منها في حالة رثة، وقد تدارك المختصون الأمر فنسخوا المتاح منها في إطار موضوعي في محافظ الوقائع، كان نصيب بلاد الشام منها ملفاً بالمحافظة رقم [٦]

أما بالنسبة للمخطوطات فلم أعثر إلا على مخطوط واحد لإسكندر أبكاربوس الفتوحات الإبراهيمية في الأقطار الشامية مع ذكر ولاية مصر إلى هذا العصر كُتِبَ المخطوط في عهد الخديوي توفيق، وعلى ذلك فلا يُعتبر صاحبه شاهد عيان ولا يُعدّ المخطوط تأريخاً، وإنما هو تجميع ضاعت أحداثه بين ثنايا الإفراط في مديح الأسرة العلوية.

أما **الكتابات المعاصرة للأحداث** التي اطلعت عليها فعددها خمس، أهمها: كتاب قسطنطين ميخائيلوفيتش بازيلي قنصل روسيا في بيروت [١٨٣٩-١٨٥٣] وهو القنصل الوحيد الذي كتب تأريخاً سياسياً لبلاد الشام تحت الحكم التركي، وانطلق من أيديولوجية سياسية ودينية حاقة على كل ما هو تركي معتبراً محمد علي مجرد باشا تركي. ولو أنه اقتصر في كتابته على فترة وجوده في بلاد الشام لغدا كتابه مذكرات في غاية الأهمية.

أما باقي الكتابات المعاصرة فمنها ثلاثة مجهولة المؤلف، هي مذكرات تاريخية بقلم أحد كتّاب الحكومة الدمشقيين، وحروب إبراهيم باشا المصري في سوريا

---

والأناضول، وتاريخ حوادث الشام ولبنان أو تاريخ ميخائيل الدمشقي، والكتاب الرابع لميخائيل مشاقه الذي كتب عن بلاد الشام في الفترة التي عاشها واعتنى بتاريخ أسرته. ولا شك أن ظاهرة الكتابات المجهولة المؤلف ظاهرة تستحق النظر، فهي نوع من المقاومة شبه السلبية لتسلط الحاكم، ولكنها تتم عن وعي ثقافي، وتصب لصالح مسيحي بلاد الشام.